كتب سياسية

مجموعة عربية ١٠٠ ٪

نهاية الاستعمار البرتغالى

بقلم : محمد هنائى عبد الهادى

تقديم : الدكتور عز الدين فوده

المكتبة

اهداءات ١٩٩٨

المكتبة العامة

جامعة الإسكندرية

كتب
سياسية

نهاية الاستعمار البرتغالي

بقلم: محمد هانئ عبد الهادي
تقديم: الدكتور عز الدين فوده

تقديم

بقلم : الدكتور عز الدين فوده

لايستطيع منصف أن ينكر القيمة التاريخية للمد الثورى لحركة تحرير المستعمرات فى اجتياحه أراضي المستعمرات البرتغالية فى افريقية ، ولقد أوضح من أهمية هذا الدور تكتل مجموعة الدول الافريقية بعد قرارات مؤتمر الزعماء فى أديس أبابا فى مناهضة سياسة البرتغال فى هذه المستعمرات وتوجيه الضربات القوية اليها ، سواء بأساليب المقاطعة الاقتصادية أو قطع العلاقات الدبلوماسية او الضغط فى المؤتمرات والمحافل الدولية . والذى يبدو منطقيا أن الاستعمار البرتغالى الحقيقى الذى لم يبدأ تاريخه الفعلى فى افريقية الا مع قيام غيره من النظم الاستعمارية الاوروبية لن يسعه سوى التسليم فى نهاية سريعة ومحققة بأكثر مما سارت اليه النظم الاستعمارية والسياسات الاوروبية التقليدية الاخرى فى ميدان الاستعمار المباشر .

فمن المعروف أن البرتغاليين قد خلصوا بلادهم من الغزو المغربي في القرن الرابع عشر . ومنذ ذلك التاريخ وقد أصبح مرتزقة الجيوش البرتغالية في حالة كساد وبطالة تستدعى القيام بحروب أو غزوات جديدة ، فقامت هذه القوات بالسعى للكشف عن أراض جديدة وأماكن للتجارة بعيدا عن طريق الشرق التقليدى عبر مصر وصحراء الشام ، بعد أن استطاع الاتراك العثمانيون والمماليك الاشداء أن يسدوا هذا الطريق على قوافل الصليبية الجديدة في شبه جزيرة ليبيريا ، ولا سيما بعد سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢ م . وكان أن تفطن بعض علمائهم الى استدارة الارض وزاد آخرون بان استنتجوا امكانية الدوران حول افريقية للوصول الى الهند حتى استطاعوا اكتشاف رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٨٧ ، واستطاع القرصان البرتغالى فاسكودا جاما أن يصل الى ماليندى بموزمبيق سنة ١٤٩٨ ، ومنها الى كلكتا على الساحل الغربى للهند تحت اشراف الملاح العربى أحمد بن ماجد حتى وصلها فى ١١ من مايو سنة ١٤٩٨ . ومن المعروف أن معارك طاحنة قد دارت بين البرتغاليين والعرب فى تلك المناطق من بحر العرب ومداخل البحر الاحمر والخليج العربى دافع فيها العرب دفاعا مجيدا عن أسواقهم التجارية وحركة النقل البحرية للحاصلات الاستوائية بين الهند وجنوبى الجزيرة العربية ، واستطاعوا بين الحين والحين تأديب القراصنة البرتغاليين الذين حاولوا نقل الموجة الصليبية من البحر المتوسط الى المياه الجنوبية ، ولم تقف أعمالهم عند حد ضرب السفن العربية وافراغ مافيها من بضائع ، وانما تجاوزت كل ذلك الى حرق السفن العربية والاسلامية بمن فيها من حجاج بيت الله الحرام .

غير أن القوة العربية والاسلامية وان استطاعت أن تصمد للغزو البرتغالى وان تردهم عن النفوذ الى البحار والاراضي العربية الداخلية ، فانها لم تستطع ان تحول بين البرتغال وبين سيطرتها البحرية على المحيط الهندى والطرق الاخرى الموصلة اليه ، حتى افسح المجال لبروز عصر الامبراطوريات الاستعمارية فى الشرق

وهكذا أصبح ضعف القوة العربية الاسلامية البحرية وما اصابها من تحلل فى تلك الآونة من اسباب قيام امبراطورية بحرية خالصة للبرتغال فى تلك المناطق ، تعتمد على السيطرة البحرية والاساطيل الحربية التى أنشأت فيما بعد حصونا عسكرية تحمى المراكز التجارية أو الموانى التى قامت على طول الطريق من البرتغال حتى جزر الهند الشرقية سواء فى افريقية أو على شواطىء تلك الجزر ، وسواء كان ذلك فى جوا أو أنجولا وموزمبيق أو غيرها من المستعمرات البرتغالية الصغيرة فى افريقية .

وهكذا نستطيع أن نتبين حقيقة العلاقة التى تؤكد رابطة التضامن بين حركة التحرر العربى ومناهضتها للاستعمار بصفة عامة وبين حركة التحرير من ربقة الاستعمار البرتغالى فى افريقية بصفة خاصة . فقد مرت حركة التنافر ومراحل التضاد والتدافع بين ظاهرة الاستعمار البرتغالى وحركة التحرر العربى بأحقاب وسنين طويلة مازالت تلقى على عاتقنا واجب المسئولية التاريخية والانسانية فى السعى من أجل تحرير المستعمرات البرتغالية .

وقد وفق مؤلف هذا الكتاب عن « نهاية الاستعمار البرتغالى»

فى أن يجمع بين ضفتى مؤلفه عرضا وافيا لقضـــايا المستعمرات البرتغالية فى افريقية وآسيا فى الميدان الداخلى لكل مستعمرة من هذه المستعمرات ولا سيما جوا وأنجولا وموزمبيق ، وفى الميدان الدولى كذلك باثارة قضية أنجولا أخيرا فى الامم المتحدة ، كذلك وفق المؤلف فى ربط الموضوع ربطا قويا بالاوضاع الداخلية فى البرتغال وعناصر العقلية الاستعمارية ونظام الحكم الرجعى هناك، فجاء مؤلفه خلاصة طيبة وعرضا موفقا يجدر بالقارىء العـــربى أن يحيط به ويعلمه .

دكتور عز الدين فودة

مقدمة

استأثرت سياسة البرتغال الاستعمارية فى افريقية سنة ١٩٦٣ — بالكثير من اهتمام الرأى العام العالمى . فقد ارتفع المد الثورى فى أنجولا وموزمبيق ، بل ان الثورة قد اشتعلت فعلا فى أنجولا حتى أن كبدت البرتغاليين خسائر فادحة وألقت عليهم أعباء ضخمة تعجز عن حملها بلادهم الصغيرة . وحقيقة الامر أن البرتغال لم تدرك بعد أن عصر السيطرة الاستعمارية قد انتهى وأن على الاستعمار ان يحمل عصاه على كتفه ويرحل نهائيا عن القارة الافريقية الشامخة .

وقد كان لقرارات مؤتمر القمة الافريقى أثر عظيم على شعوب القارة الافريقية ، وقد أحدث ماجاء بها من ضرورة وضع حد للاستعمار البرتغالى فى القارة دويا عالميا ، وأيقن العالم أن شعوب القارة لن تقف مكتوفة الايدى ازاء الاستعمار البرتغالى الغاشم. ومن ثم فقد جاء تقديم هذا الكتاب عن أفول شمس الاستعمار البرتغالى ضرورة ملحة لمحاولة ازاحة الستار كاملا عن حقيقة الاوضاع القائمة فى البرتغال وفى مستعمراتها فى افريقية حتى يمكننا أن نتتبع عن وعى وبصيرة ثورة أبناء أنجولا وموزمبيق على المستعمر البرتغالى الذى لايريد أن يتفهم روح العصر والذى يحاول فى عناد وغباء أن يقاوم المد الثورى فى القارة السوداء بالرغم مما يحاوله الاستعمار البرتغالى من احاطة أعماله الوحشية هناك بستار حديدى من السرية والكتمان .

لقد بدأ الافريقيون يتحركون بقوة ولا شك أن ثورتهم سوف تنتهى وفى أقرب مما يتصور المستعمر بتحرير هذه الاراضي من بطشه واستعباده .

محمد هنائى عبد الهادى

افريقية الجوهرة السوداء

اننا لن نسـتطيع بحـال من الاحوال – وحتى لو أردنا – أن نقف بمعـزل عن الصراع الدامى المخيف الذى يدور اليوم فى أعمـاق افريقية لا نسـتطيع لسبب هام وبديهى .. هو أننا فى افريقية .

جمال عبد الناصر

أفريقيا الجوهرة السوداء

الجوهرة السوداء .. اسم أطلقه المستعمرون على القارة الافريقية قارة المستقبل .. ولكنهم بالطبع لم يقصدوا بكلمة قارة المستقبل بالنسبة لشعوب القارة نفسها ولكنهم قصدوا مستقبلهم هم لانه يتعلق بهذه القارة وثروتها والمراكز الاستراتيجية الاستعمارية فيها .

والاستعمار ينظر الى افريقية على أنها الكنز الذى لا ينضب معينه ومن هنا نجد أن هناك موقفا أكثر تعقيدا فى الناحية الاقتصادية منه فى الناحية السياسية وهذه الثروات كلها تقريبا تستغلها الاحتكارات الاجنبية وتتدفق الارباح على العواصم الاوربية فى حين ترزح شعوب كثيرة فى القارة تحت وطأة الفقر والجهل والمرض فى الوقت الذى تنتج فيه القارة ٩٥ ٪ من الماس و ٧٢٪ من الكاكاو و ٥٤ ٪ من الذهب و ٢٩٪ من البترول والفحم الحجرى و ٢٣٪ من النحاس و ٢١٪ من البن ، ولقد مرت بالشعوب الافريقية تجارب مريرة أكدت لهم بأن هناك تحديات قوية

تقف أمام تحقيق آمالهم وتعمل على عرقلة كل حركة تقدمية أو كل ثورة تحررية تحاول النهوض بالقارة الافريقية وتحررها سياسيا واقتصاديا ، تحررا كاملا حقيقيا بكل ماتحمل الكلمة من معان .

ففى قضية الكونغو رأينا كيف اتخذ الاستعمار من رواندا أوراندى قاعدة لضرب الثورة الكونغولية ، وكيف اتخذ من روديسيا الجنوبية قاعدة أخرى لمساندة تشومبى فى حركته الانفصالية .

وللاستعمار هنا طريقته الخاصة فهو لا يمنح الاستقلال فى سهولة أو يسر ، ولكنه يزيف الاستقلال الشكلى مع الاحتفاظ بالسيطرة الفعلية مستخدما فى ذلك شتى الاساليب من مؤامرات العملاء والمستوطنين واعمال التدخل والتسلل المختلفة من المستعمرات والبلاد المجاورة .

وقد اتخذ الاستعمار هذه الاساليب نفسها فى الكونغو اذ حرض المستوطنين على الهجرة ورفض القيام بالاعمال الحكومية التى كانوا يقومون بها من قبل وذلك بقصد بث الفوضى فى الادارة العامة حيث لم يكن للوطنيين أية خبرة للقيام بهذه الاعمال ومن ثم تظهر الدولة بمظهر الفوضى التى لا تقوم عليها أحوالها ويتمكن المستعمر من الوصول الى هدفه فى ترويج الشائعات التى تقوم على أن الوطنيين لم يصلوا بعد الى درجة من الثقافة والكفاية تمكنهم من حكم بلادهم بأنفسهم .

ولا يخفى على الجميع تحريض الدوائر الاستعمارية للعميل تشومبى من أجل الانفصال بكاتنجا عن بقية أجزاء الوطن الواحد وهو أغنى اقاليم الكونغو بالثروات المعدنية والمواد الخام .

ثم عمد الاستعمار الى تدبير حوادث اغتيال وقتل ضد البيض انفسهم حتى تجد بلجيكا مبررا لرجوع قواتها الى الكونغو واعادة احتلالها بالقوة .

ولقد كانت مأساة الكونغو تجربة خطيرة فى حياة ومستقبل الشعوب الافريقية .. حيث كانت بداية العمل الجماعى للدول الاستعمارية للمحافظة على نفوذها فى القارة .. لقد كانت هذه التجربة بمثابة التحدى الصارخ من الدول الاستعمارية مجتمعة امام كل حركة تحررية فى أى بلد افريقى .. فقد وقفت الدول الاستعمارية برغم تناقضاتها صفا واحدا ضد الكونغو فوقفت بلجيكا بجانب انجلترا وفرنسا وفى ركابها حكومتا البيض فى جنوبى افريقية واتحاد وسط افريقية والبرتغال . واستطاعت هذه الدول برغم وجود الامم المتحدة أن تساند تشومبى كلما أوشك مركزه على الانهيار ، كذلك تذبذبت الولايات المتحدة فى موقفها بالنسبة للكونغو بما اقتضته مصلحتها ، فكانت تؤيد تشومبى حين كان على راس الحكومة المركزية ضد زعيم وطنى هو باتريس لومومبا ، ثم ايدت الحكومة المركزية بعد مقتل لومومبا وكانت ترى — كما صرح بذلك أدلاى ستيفنسون مندوبها فى الامم المتحدة — استغلال كاتنجا فى نطاق اتحاد فيدرالى أى أن هذه التجربة قد جمعت المتناقضات بين الدول الاستعمارية طالما أن لها هدفا واحدا تسعى اليه وهو المحافظة على أحد مراكزها لان معنى ذلك هو المحافظة على بقية المراكز الاستعمارية الاخرى .

وكذلك فقد خاضت الدول الاستعمارية تجارب أخرى فى

القارة بالفكرة نفسها أو بالنظرية التى دعت اليها وهذا الاتحاد فيما بينها ومساندتها بعضها لبعض .

ففى شمالى افريقية .. فى الجزائر .. حين قام الجنرالات الفاشيون بحركتهم ضد ديجول ، ليحولوا دون استقلال الجزائر اتضح أنهم كانوا على اتصال بحكومات استعمارية وصهيونية أبدت استعدادها لتأييدهم فى حركتهم بل وربما دفعتهم اليها ، ومن هذه الحكومات حكومة البرتغال وجنوبى أفريقية واسرائيل .

وبالرغم من أن البرتغال تعد من الدول الفقيرة جدا .. فانها لا تزال تشن حملاتها الاستعمارية المسعورة فى افريقية مستخدمة الاسلحة الامريكية واسلحة حلف الاطلنطى ضد سكان انجولا وموزمبيق العزل دون أية مراعاة لانسانية سكان تلك المستعمرات.

وفى جنوبى افريقية حيث اشتدت الحركات الوطنية ضد التفرقة العنصرية التى كانت قد بلغت مداها وجدت حكومة اتحاد جنوبى افريقية من يساندها فى قمع هذه الحركات والاستمرار فى تحدياتها ، ومن هذه الدول البرتغال وبريطانيا واتحاد وسط افريقية .

وحقيقة الامر أن هناك صلة كبيرة ورابطا هاما بين منح الدول الاستعمارية الاستقلال لبعض الدول الافريقية وبين السياسة الاقتصادية لهذه الدول فمن بين أسباب نشأة فكرة السوق الاوربية المشتركة مواجهة المنافسة الشديدة لرأس المال الامريكى فى الاسواق العالمية من ناحية ومواجهة القوة الاقتصادية

السوفيتية من ناحية اخرى بتجميع رأس المال بالنسبة للدول الغربية الاعضاء فى السوق .

ثم نشأت فكرة ربط الدول الافريقية لامكانياتها الضخمة بهذه السوق تحقيقا لفكرة « أورو افريقية » التى راودت ساسة الغرب بعد الحرب العالمية الثانية ، ومن هذه الفكرة جاءت الصلة بين حركات الاستقلال وبين فكرة انشاء هذه السوق ، فقد عملت فرنسا على اعطاء الاستقلال دفعة واحدة لمستعمراتها فى افريقية . لانها رات أنها تستطيع أن تحافظ على ماتستفيده من هذه البلاد دون الوقوع فى مصادمات أو ثورات وطنية تضيع عليها هذه المصلحة .

ومن ثم أعطت فرنسا الاستقلال السياسي لمستعمراتها ثم سيطرت عليها اقتصاديا ، بأن أدخلتهم فى السوق الاوربية ووافقت الدول الاعضاء الاوربية فى السوق على دخول الدول الافريقيةلانها تعلم تمام العلم القيمة المادية الكبيرة التى ستجنيها من هذا الارتباط. فالاتفاق على ذلك يؤدى الى رفع الحواجز الجمركية لدول أعضاء السوق للصادرات الافريقية وكذلك الحال بالنسبة لصادرات دول السوق للدول الافريقية .

وقد نصت المادة ١٣١ من معاهدة روما على الاحكام المتعلقة بموافقة دول السوق الاوربية على اشراك الاقطار غير الاوربية التى لها علاقات خاصة ببلجيكا وايطاليا وفرنسا ويقصد بهذا أساسا الدول الافريقية وذلك لمدة خمس سنوات تنتهى فى عام ١٩٦٢ وقد نالت معظم هذه الدول استقلالها مثل السنغال ، مالى ، وموريتانيا،

ساحل العاج ، داهومى ، نيجريا ، الكونغو (برازافيل) افريقية الوسطى ، تشاد ، جابون ، مدغشقر ، توجو ، الكمرون الكونغو (ليبولدفيل) ، الصومال .

والاغراض المنشودة من اشراك هذه الدول فى السوق الاوربية هى :

١ ــ منح دول السوق الست الامتيازات التى كانت مخولة للدول الاوربية ذات العلاقات الخاصة بأقطار ماوراء البحار .

٢ ــ مساهمة دول السوق الست فى الاستثمارات اللازمة للتنمية فى اقطار ما وراء البحار .

٣ ــ العطاءات والتوريدات فى تلك الاقطار مفتوحة لسائر شركات ومواطنى دول السوق الست بلا تمييز بينها .

٤ ــ يكون للمواطنين والشركات التابعين لاحدى الدول الاوربية الست الحق فى التوطن والاستقرار دون تمييز بينهم فى كل قطر من تلك الاقطار .

وتعنى هذه الاغراض باختصار وبعد تجريدها من الصيغ الدبلوماسية الماكرة واحلال النظام الاستعمارى الجماعى محل الاستعمار الفردى وهيمنة دول السوق الاوربية على المواد الاقتصادية لتلك الدول الافريقية والابقاء عليها فى حالتها من التخلف لكى تظل موردا للخامات والموارد الغذائية وسوقا لتصريف بضائع دول السوق الاوربية .

وبالطبع فان صادرات أفريقية ماهى الا مواد خام فى حين

تصدر دول السوق منتجاتها الصناعية الى دول افريقية وقد خسرت هذه الدول الافريقية من جراء ذلك الكثير حيث فقدت فرصة المنافسة بين الدول على شراء موادها الخام مما كان يمكنها قبل هذا الانضمام من الحصول على عملات أكثر ، ومعنى ذلك أيضا هو جعل هذه الدول سوقا للمنتجات الاوربية وقد نص الاتفاق على تقديم المساعدات الى الدول الافريقية الاعضاء بحيث لاتستخدم فى أى مجال صناعى ولكن فقط فى عمل التسهيلات لنقل المواد الخام الى مراكز الشحن وكذلك أن تحصل شركات السوق على الامتيازات التى كانت تحصل عليها شركات الدول التى كانت تستعمر الدول الافريقية ، ومعنى ذلك واضح كل الوضوح . اذ انه بمثابة استعمار خطير أكثر خطورة من الاستعمار السياسى فهو يتحكم فى كل اقتصاديات دول افريقية التى يستخدمها كبقرة حلوب ويحرمها كل تقدم أو خير أو رخاء .

ويعتمد الاستعمار فى سيطرته السياسية أو الاقتصادية على مبدأ التفرقة العنصرية كفلسفة تمكنه من السيطرة وتمكن للمستوطنين استغلال الطاقة البشرية الافريقية أسوأ استغلال حتى تجنى من ورائها أكبر الارباح معتمدين على أن السود فى مرتبة أو مستوى أقل من البيض ولابد للجنس الابيض من السيطرة والحكم والادارة فى حين ليس للسود فى نظرهم غير خدمة هذه الطبقة المتحكمةومن ثم استعبد المستوطنون الوطنيين الافريقيين واستغلوهم فى ادارة الآلات كقطع منها لاستدرار الارباح .

ثم هناك الانفصالية التى خلقها الاستعمار بين الدول من ناحية وبين الوطن الواحد من ناحية أخرى ، وذلك باثارة الحياة

القبلية وتنميتها وتقويتها ، الامر الذى يهدد لا الوحدة الافريقية فقط، بل والوحدة الوطنية فى البلد الواحد ، فما تحمله من نظام بدائى مهلهل ينتشر فيه الفقر والجهل والمرض بعيدا كل البعد عن الحضارة والمدنية بل وأبسط مستويات الثقافة ، لقد ظلت هذه الافكار فى عقول المستعمرين ، ففى كل المستعمرات آلهة بيض يسيطرون على كل شيء .. ويأنفون حتى من القاء نظرة على هؤلاء « السـود » الذين خلقهم الله واعطاهم هذه القارة الغنية وكأن « البيض » الكرام المتمدينين العقلاء أولى بالقارة الغنية وأرضها ومائها وسمائها وهوائها وما تحت قشرة أرضها من كنوز لاتفنى مع الايام ، ونام السادة البيض على هذه الاحلام الوردية .. ولكن التاريخ لم يكن نائما لقد ظل كشأنه دائما يقظا ليتحرك ويغير مجريات الامور .

وظلت الشخصية الافريقية تتبلور لتمضي فى طريقها لاتعبأ بشيء قط وبعد خمسة قرون من العبودية يستيقظ الانسـان الافريقى . اى شيء لديه يمكن أن يقدمه للانسانية ؟ .. ان الرجل الاوروبى الجالس فى بيته يبحث مصـاير البشر خـلال كتب واحصائيات يقول لنا ان أقصي مايمكن أن يفعله الافريقى الآن هو ان يتمثل الحضارة الاوربية ، فمازال أمامه شوط طويل حتى يخرج من التخلف الذى عاش فيه طوال حياته ويلحق بقافلة التطور . أما الانسان الابيض فى البلاد التى كانت مسـتعمرات وتحررت حديثا فهو لا ينظر الى أخيه الاسود من وجهة نظر واحدة . انه حليف معركته وهى المعركة التى يخوضها فكلاهما يدافع عن كيانه المستقل المتحرر ومن هنا لا بأس من أن يكون معه جبهة موحـدة

للكفاح ضد الاستعمار الجديد مثلا . فهل الافريقى حقا مجرد انسان متخلف يناضل الآن فى سبيل انعتاقه فقط ؟

ان الحقيقة تسير على عكس ذلك تماما فعلى الرغم من سياسة الاستعمار التى قامت على حرمان افريقية من مراكز التعليم وعلى الرغم من التمزق الذى أحدثته فى كيانها القومى ، فقد ظل الانسان الافريقى مبقيا على تراثه ، ظل يزاول تقاليده العريقة ويمارس فلسفاته وفنونه وآدابه .

وظهرت فى افريقية قوى ثورية عظيمة تمثلت فى الشخصيات والزعامات الافريقية التى آمنت بوطنيتها وآمنت بحقها فى الحرية والكرامة والاستقلال . وقام من بين الشعوب رجال يدعون لاخوانهم بحق الحياة وحق تقرير المصير ولا غرابة فى ذلك فهى أرضهم وهى قارتهم وفيها زرعهم وخيراتهم .

وقام من بين هؤلاء الزعيم الوطنى باتريس لومومبا ومديبوكيتا وجومو كينياتا ، ونيريرى وغيرهم من الوطنيين الذين تزعموا حركة اليقظة الافريقية ومنهم من ضحى بحياته ومنهم من قاسي الآلام الكثيرة وجميع أنواع التعذيب على أيدى القساة البيض والعصابات الاوربية المستعمرة . . ولكن لم تستطع هذه القوى الظالمة مجتمعة بكل وسائلها الهدامة أن تنحى أى زعيم وطنى خطوة واحدة عن مبادئه وأهدافه وايمانه العميق ، ولا غرو فى ذلك فقد عاش الوطنيون أصحاب الارض وأصحاب الحق عاشوا حياتهم غرباء فى أرضهم مضطهدين فى أوطانهم محرومين من خيرات بلادهم لايلقون من الحكام البيض سوى الاحتقار والمهانة والتعذيب .

واخيرا وبعد ان فطن الافريقيون الى كل حقوقهم وبعد أن يئسوا من الدعوة والوعود الكثيرة الكاذبة من جانب المستعمرين وبدافع من وطنيتهم وثوريتهم التى آمنوا بها كل الايمان وبعد ان راوا أن الحرية لا تمنح انما أخذتها الشعوب التى نالت استقلالها بالكفاح والجهد والتضحية ، قررت هذه الشعوب الافريقية أن تأخذ استقلالها وأن تكشف النقاب عن كل الاعمال الوحشية والاساليب الملتوية التى اتبعها الاستعمار ، ومع كل مؤتمر أفريقى عقد في النصف الثانى من القرن العشرين سجل التاريخ علامات في طريق اليقظة والبعث للشعوب الافريقية ، تماما كما يسجل طريق القبر والرقدة الابدية لاعداء تلك الشعوب .. للمستعمر البرتغالى وزملائه المستعمرين الانجليز والفرنسيين والبلجيكيين والهولنديين وكل قطاع الطرق الذين خرجوا من شواطىء أوروبا فى السفن منذ اربعة قرون يبحثون عن أرض غريبة يسرقونها من أهلها وينقلون خيراتها عبر المحيطات الى أوروبا وليتاجروا بالرقيق تلك التجارة الوحشية البشعة .

ان المستعمرين القراصنة الذين نزلوا على سواحل انجولا وموزمبيق وليبيريا وغانا وغينيا وتوغلوا فى مالى ونيجيريا والكونغو منذ عشرات السنين ثم نزلوا فى المغرب والجزائر ومصر وشمالى افريقية واقتطعوها بلدا بعد بلد هؤلاء القراصنة كانوا يدركون جيدا انهم يواجهون مصايرهم .. بعد ان استيقظت الارض النائمة التى تسللوا اليها فى ظلمات القرن التاسع عشر وما قبله من قرون الظلام ، وعرفوا أن عليهم أن يرحلوا عن هذه الارض بعد أن زلزلتها تحت اقدامهم يقظة أصحابها وانتشرت فيها ثورات البراكين التى

كانت خامدة فى الماضي فى حين تدوسها أقدام الغرباء المستعمرين ، وكان هذا هو ما حدث بالفعل .. ففى أقل من عشرين عاما بعد الحرب الاستعمارية الكبرى التى انتهت عام ١٩٤٥ وجد الاستعمار الأوروبى نفسه مطرودا من القارة الافريقية وانحصرت بقاياه المنهزمة فى بعض أركان القارة تحاول بالمكابرة والعناد والكبرياء الأجوف أن تبقى فى مواضعها .

يهيمن على الحياة الدولية فى الآونة الراهنة تياران سياسيان متميزان أحدهما يقود الامم الى التمسك بحقها فى الاستقلال فى وجه الاقتحام الاجنبى .. والآخر يدفعها الى التكاتف أو الاتحاد .. وللوهلة الاولى يلوح أن هذين الاتجاهين متعارضان متناقضان ولكنهما فى حقيقة أمرهما متوافقان متمم كل منهما للآخر . اذ يرتكزان على مبادىء واحدة هى احترام ارادة الشعوب والمساواة فى الحقوق ، واذا كانت الدول تنبذ بشدة فكرة الرزوح تحت ربقة السيطرة الاجنبية فانه حتم عليها أن تقر بأنه لا يمكن لأى مخلوق فى العصر الحاضر أن يعيش فى عزلة وأن يقطع الطريق بمفرده وبأنه ليس من سبيل الى كفاية الأمن والرخاء الا بالتعاون مع الدول الأخرى ، فالتقدم الفنى ومطالب الشعوب الملحة تستوجب ليس فقط زيادة التبادل بين البلاد وانما ايضا انشاء اتحادات قوية ومنظمات حقيقية تمكن أعضاءها من الذود عن مصالحهم الاقتصادية والسياسية بشكل فعال وافريقية الجديدة التى تضم عددا كبيرا من الدول الفتية التى تصارع مشكلات واحدة لم تكن لتفلت من هذه الضرورة الحتمية ..

ولقد ظن الاستعماريون أن افريقية ستظل مرتعا ومجالا حيويا

لهم الى الابد وان أهلها سيظلون يحترمون الرجل الأبيض بلا تفكير فى الثورة على طغيانه واجرامه ولصوصيته .. ان القارة السوداء قد انتزعت «الاستقلال» لعشرات من أقطارها وستنتزع الاستقلال لبقية أقطارها التى مازال الاستعمار الابيض يكتم أنفاسها ويسرق خيراتها .

والشعوب الافريقية التى استقلت أعربت عن رغبتهـــا فى التقارب الى شعوب القارة الأخرى وعلى هـــذا النحو ظهرت المنظمات المعروفة تحتأسماء وحدة افريقية وفريق موتروفيا وفريق الدار البيضاء ولكن فضلا على هذه التكتلات المحدودة تسود البلاد الافريقية حركةتضامن جارفة تقوم علىتشابه المشكلات والاحساس بالمصير المشترك وكان الغرض من مؤتمر الاقطاب الافريقى الـذى انعقد فيما بين ٢٣ ، ٢٥ من مايو سنة ١٩٦٣ فى أديس أبابا هو تحديد الاشكال التى يمكن خلعها على هـــذا الهدف فى الظروف الحالية مع مراعاة حالة مركز الدول الاعضاء .

وقد أثبت مؤتمر أديس أبابا ما تحلى به الزعماء الافريقيون من نظرة واقعية وحكمة وتعقل واعتدال .. لقد أكد النضج السياسي الذى تتحلى به القارة الافريقية .. وسوف نتعرض لهـذا المؤتمر الافريقى الكبير وما حققه من نتائج طيبة فى فصل قادم .

من هذا العرض السريع يمكن أن نتبين ما اعترض القـــارة من أطماع استعمارية وما واجه أبنـــاءها من اذلال الرجل الابيض لابنائها واستعباده لهم ، ولسوف نعرض فى الفصول القادمة نموذجا بشعا للاستعمار البرتغالى الذى لايزال يقبع فى جزء مهم من القارة الافريقية .

البرتغال دولة من الدرجة الثالثة

ان كلمة امبراطـــورية التى تقترن باسم البرتغال تدعو الى التساؤل.. هل هذه الدولة صاحبة المستعمرات من بين الدول المتقدمة ؟ .. هـــل يقارن علمها وفنها بالعلم والفن فى الاقطار المتقدمة ؟ .. ان هناك اجابة واحدة على كل هذه الاسئلة ... انهـــا أكثر الاقطار تخلفا فى أوروبا اليوم .

البرتغال دولة من الدرجة الثالثة

ان البرتغال أو كما يطلق عليها البرتغال الامبراطورية المترامية الاطراف تعتبر دولة من الدرجة الثالثة ، متخلفة اقتصاديا واجتماعيا بالرغم من سيطرتها على تلك المساحات الشاسعة فى أنجولا وموزنبيق وجوا ــ قبل تحريرها منذ مئات السنين .

ان كلمة امبراطورية التى تقترن باسم البرتغال تدعو الى التساؤل .. هل هذه الدولة صاحبة المستعمرات تعتبر من بين الدول المتقدمة صناعيا اليوم ؟ وهل يقارن علمها وفنها بالعلم والفن فى الاقطار المتقدمة ؟ وهل يمكنها أن تقدم على الادعاء بأن تفوقها المادى على الأقل يمنحها .. ان لم يكن الحق ــ فعلى الاقل القوة على الاحتفاظ بمركزها كدولة استعمارية ؟ ... ان هناك اجابة واحدة على كل هذه الاسئلة .. انها أكثر الاقطار تخلفا فى أوروبا اليوم .

فمستوى معيشتها ومعدل معرفة القراءة والكتابة هما اقل المستويات فقد أنشئت وزارة المعارف لأول مرة فى البرتغال فى عام ١٨٧٠ ، لهذا فان نسبة الأميين فى البرتغال تبلغ حوالى ٧٠ ٪ من مجموعة السكان ونسبة وفيات الاطفال هى أعلى نسبة فى

أوروبا وليس لدى البرتغال من الناحية العملية صناعة ، ويعتمد مايزيد على ٥٠ ٪ من السكان على الزراعة .. كل هذا برغم أنها تملك ثالث امبراطورية استعمارية فى العالم .

لقد سيطرت على حكام البرتغال فكرة الاستعمار فوجهوا نشاطهم الى استغلال الامبراطورية الواسعة المشتتة فى حين أهملوا البلاد الرئيسية الأم . فقد كان يسيطر على الاقتصاد البرتغالى عدد قليل من العائلات التى تستغل موارد الثروة الطبيعية فى البرتغال بالاشتراك مع الرأسماليين الاجانب ، وهكذا ففى صناعة البترول تتمتع شركة S.C.A.O.R التى تمتلك شركة فرنسية معظم أسهمها مع اشتراك الحكومة البرتغالية بثلاثة وثلاثين فى المائة تتمتع هذه الشركة باحتكار فعلى وهذه الشركة ملزمة بامداد اقاليم ما وراء البحار بـ ٨٠ ٪ من حاجتها كما تسد نصف الاستهلاك الداخلى . وفى الصناعات الأخرى البسيطة الموجودة فى البرتغال تعتبر الشركات البريطانية والفرنسية هى المنتج الوحيد وصناعة الكيريتور الطبيعى بالذات تسيطر عليها شركة بريطانية وشركتان بلجيكيتان كما أن للبريطانيين نصيب كبير فى محاجر الدولة أيضا وتقوم شركة برتغالية يساهم فيها شركاء فرنسيون بصنع بوابات السدود لتنظيم تصريف المياه ، وتقوم شركة بلجيكية بمشاركة البرتغاليين بصناعة المحركات الكهربية ، أما مصنع الكابلات ومصنع التليفونات فهما بريطانيان وتقوم شركة أمريكية بانتاج معدات المواصلات السلكية ، وتقوم شركات فرنسية وهولندية بصناعة المصابيح الكهربية ، أما صناعة الاطارات فهى تابعة لشركة جنرال تايرز والمشروع الصناعى البرتغالى الوحيد هو الشركة المتحدة

للاسمدة التى تصنع الأسـمدة وكبريتات النحاس والمواد الكيماوية الأخرى وزيوت الخضر والصابون والجوت كما تبنى السفن ولها خط ملاحى وبنك ومناجم للنحاس فى أنجولا ، ولقد بدت البرتغال كما لو كانت غير قادرة على مواجهة الحقيقة وأخذت تخدع نفسها بدعوى أن أعمال التوسع البرتغالى التى تحققت فى الماضي ستقف عائقا دون طموح المستعمرين الجدد وكانت البرتغال تواجه اخطر المشكلات كلما ضاع جزء من مستعمراتها أو نقص مورد من مواردها الاقتصادية كما حدث فى الهند والبرازيل ، وقد جاء هـذا نتيجة لركود اقتصادها الخاص وانقسام مجتمعها الى طبقات كما اصبح الاقتصاد البرتغالى نظرا لتخلفهـا الصناعى رهينا بالظـروف وتركزت القوة السياسية فى أيدى قلة من ملاك الاراضي الذين لم يعيروا أى اهتمام لخلق سـوق للمنتجات الصناعية أو يعملوا على رفع مستوى المعيشة ، كذلك اصبح الفقر فىالبرتغال عاملااساسيا فى توافر العمال ذوى الأجور الرخيصة .

ولا تزال البرتغال تملك امبراطورية من أضخم الامبراطوريات فى العالم وتبلغ مساحة مستعمراتها اكثر من ٨٠٠ ألف ميل أو ما يقرب من مساحة غربى أوروبا ، ولقـد كانت أنجولا وموزنبيق من العوامل الاقتصادية التى أثرت فى كل نواحى الاقتصاد البرتغالى تقريبا . أما الدخل القومى فى البرتغال فانه دائمـا من أقل الدخول الأوربية .

والبرتغال لذلك هى النموذج الكامل للمجتمع المتحجر ، لقد تغيرت قليلا ولكن الى الأسـوأ . ولا تزال البرتغال غير متأثرة

بالثورات الكبرى التى سبقت فى الماضي فى أوروبا ومع ذلك فان التخلف ليس معناه انها كانت مستقرة سياسيا .

ففى الفترة التى انقضت بين نزول الملك شارل عن العرش سنة ١٩٠٣ وبين الانقلاب الذى قام به الجيش والذى أتى بسالازار الى الحكم ، تولى الرياسة ثمانية رؤساء جمهوريات وقامت ٤٨ حكومة ونشبت ٢٠ ثورة حتى أن عصبة الامم المتحدة راودتها فكرة ادارة البلاد لتحقيق الاستقرار ، وقد اعتمد الاقتصاد البرتغالى الى حد كبير على تصدير قليل من البضائع وطائفة أخرى من المنتجات الزراعية والمعدنية مقابل استيراد المواد الصناعية الخام والوقود والآلات والعربات والبضائع اللازمة لكفاية الحيـــــاة الاجتماعية والاقتصادية فى الدولة وبهذا اعتمدت البرتغال على مستعمراتها فى توسعها الاقتصادى .

ونســـبة (١) الزيادة السنوية للسكان تبلغ حوالى ٥٠ الف نسمة ستصل عما قريب الى ١٠٠ ألف نسمة . هذا الى انه اذا لم يتجه البرتغاليون الى تحديد النســـل كان على البرتغال أن تعمل خلال الثلاثين سنة القادمة على توفير العيش لعدد من الســـكان يتردد بين ٩ أو ١٠ ملايين نسمة .

لقد بلغت كثافة السكان فى عام ١٨٦٤ حوالى ٤٥ر٥ نسمة لكل كيلو متر مربع وفي سنة ١٨٩٠ وصلت الى ٥٥ نسمة لكل كيلو متر مربع وفى سنة ١٩٣٠ ارتفع العدد الى ٧٤ ، وحين يصل تعداد السكان الى الرقم المتوقع وهو ٩ ملايين نسمة فان نسبة الكثافة

---

(١) هذه الدراسة من كتاب امبراطورية البرتغال للكاتب البرتغالى انطونيو فيجوريدو

تبلغ فى البرتغال والجزر الغربية منها ١٠٠ نسمة لكل كيلو متر مربع فان لم تعمل الدولة على زيادة مواردها فستصبح قريبا عاجزة عن استيعاب هذا الرقم عدا مايتبعه من زيادة فى خفض مستوى المعيشة وطبقا لآخر الاحصاءات نجد أن ما يمكن استصلاحه من الأراضي البور هو ١٥٠ الف هكتار فقط وتستغرق المرحلة الاولى لذلك عدة سنوات وتحتاج الى ٦ ملايين من الجنيهات واذا أصبح من الممكن الافادة من كل الاراضي التى يمكن ريهـا لن تكفى هذه الاراضي المستصلحة سوى ١٥٠ الف أسرة فقط ، أما الاراضي غير المزروعة فانها نادرة ولا يوجد فى (مقاطعة اليميتخو) شيء منها على الاطلاق وخلاصة القول أن البرتغال لم تترك شيئا من الاراضي دون استغلال عدا الاراضي البور التى يمكن الافادة منهـا بتسهيل وسائل الرى أو التلال التى لم تستغل ثروتها الغابية بعد ، ويقول الدكتاتور سالازار : ويمكن حل هذه المشكلات بطريق الهجرة الى المستعمرات أو بالعمل على تصنيع البلاد وبهذا وحده يمكن استيعاب الزيادة المطردة فى عدد السكان واذ ذاك تلزمنا تهيئـة الأحوال للتنمية الصناعية التى تواجهها عدة مشكلات رئيسية كنقص رأس المال وعدم وجود الخبراء اللازمين وأثمان الوقود والقوى الكهربية بجانب الحاجة الى الأسواق والمواد الخام .

والحقيقة أن التوسع الصناعى فى البرتغال لا يزال فى حاجة الى كل هذا عدا الأيدى العاملة التى كانت رخيصة ومتوافرة وفى مثل هذه الظروف رأى سالازار أن الحـل المنطقى هو أن تنتج المستعمرات المواد الخام وتصدرها للوطن الأم .

ولا ينطوى تاريخ البرتغال على أية بارقة أمل كما أن حالتها

الاقتصادية الحالية سيئة للغاية . وهى من نواح كثيرة بلد مستعمر اذ انها تحت حماية بريطانيا فى أوروبا فكل الخدمات العامة مملوكة للشركات البريطانية . وصادرات البرتغال الاساسية للاقطار الأوروبية الأخرى هى المواد الخام والصادرات الرئيسية هى الفلين والنبيذ . وتوجد مدينتان فقط هما لشبونة وأبورتو يبلغ تعداد سكان كل منهما أكثر من مائة ألف نسمة ، وليس لدى البرتغال أية صناعة ومن ثم فلايوجد عدد كاف من الاشخاص المدربين من ذوى المعرفة الفنية بالبناء الصناعى الحديث . وحتى فى البرتغال يتم بناء الترسانات البحرية وصناعة الصلب والمشروعات الصناعية الرئيسية الاخرى بوساطة شركات أجنبية .

والبرتغال لذلك تفتقر الى أى تفوق حتى على افريقية وحتى وسائلها فى الزراعة ليستمتقدمة وربما أثبتت السياسة الاقتصادية التى يتبعها سالازار ضعف الاقتصاد البرتغالى ، وقد قدر باعتباره اقتصاديا متزمتا ان الميزانية المتوازنة علامة على الاقتصاد السليم وقد حازت اجراءاته الانكماشية رضاء وموافقة أصحاب المصارف واصبح الاسكودو (وحدة العملة البرتغالية) من العملات القوية فى أوروبا ، وكانت الضحايا لاجراءات سالازار هما الشعب البرتغالى والاقتصاد البرتغالى . ومنذ استيلاء سالازار على الحكم ومستوى حياة الطبقات العاملة فى انخفاض كبير ، ويبقى الاقتصاد البرتغالى ضعيفا ويظل تكوين رأس المال واستثماره منخفضا بشكل ملموس ، وتعانى البرتغال لذلك مساوى الاقتصاد والاستعمار ومن ثم فلا تمكن مقارنة امبراطوريتها بالامبراطوريات البريطانية والفرنسية

والبلجيكية وذلك أنهم فتحوا المناطق الاستوائية بقصد تأليف سوق لسلعهم وضمان المواد الخام لصناعتهم .

ومن أجل تنفيذ برنامج التعمير الاقتصادى الذى يؤدى الى تعاون كل من البرتغال ومستعمراتها . اتجه سالازار فى سياسته الاستعمارية الى العمل على استمرار السيادة البرتغالية بأن يعطى معنى دستوريا لنظرية الأمة الواحدة التى سارت الى الأمام بفعل الاستعماريين البرتغاليين المتعددين وكانت هذه السياسة تشبه السياسة الاستعمارية الاسبانية حيث نظر الاسبانيون الى مستعمراتهم فى افريقية اللاتينية لاكمستعمرات بل كولايات اسبانية .

ولقد رأى سالازار جعل التطور الاستعمارى مرتبطا بالمصالح البرتغالية وامتد الاطار الاقتصادى للدولة لكل محتوياته الى افريقية البرتغالية ، كما فرضت قيود شديدة على الاستيراد مضافة الى تفصيلات التعريفة الجمركية التى تصل الى أقل مما يفرض على البضائع الاجنبية بنسبة ٥٠ ٪ وأقيمت هيئات خاصة للتنسيق الاقتصادى وتنحصر أعمال هذه الهيئات فى الاشراف على شئون الاستيراد والتصدير التى تهم البرتغال ذاتها .

هذا ونظرية الأمة الواحدة من الناحية العملية الاقتصادية هى فى الواقع موجهة نحو منصة الدولة الحاكمة ومعنى هذا حصول الاراضي الافريقية على قليل من الفوائد بل مواجهتها المشكلات الناتجة عن تخلف البرتغال الاقتصادى والاجتماعى .

ولما كانت سوق الاستهلاك فى افريقية البرتغالية تحتوى على

٦ ملايين افريقى فى موزمبيق و ٥ر٤ مليون افريقى فى انجولا لهم قوة شرائية منخفضة لجأت الحكومة البرتغالية فى ترويج المنتجات البرتغالية كالنبيذ مثـلا الى وسائل اشتملت على اصدار القرارات الحكومية بمنع صناعة المشروبات المحليةفى اقليمى انجولا وموزمبيق بحجة أن مشروبات لشبونة أقل ضررا من الناحية الطبية .

أما القطن فيستورد مبدئيا من افريقية بعد حلجه وقد عمل هذا على ترقية صناعة المنسوجات فى البرتغال وكان الانتاج ينحصر فى الملابس الرخيصة التى تصدر ثانية للاسـواق الافريقية مع بقاء ما يحتاج اليه الاستهلاك المحلى على أن يصدر أيضا للدول الاجنبية وكذلك كانت الحال بصدد المنتجات الاخرى كالسكر والخضراوات والزيوت وسائر المنتجـات الاستوائية وشبه الاستوائية التى استوردت اما للاستهلاك المحلى أو لاعادة تصديرها للخارج .

وكانت هيئات التنسيق الحكومى غالبا ما تحدد أسعارا لهذه المنتجات أقل من السعر العالمى وقد استوردت البرتغال من انجولا وموزمبيق نحو ٥ر١٢ ٪ من مجموع وارداتها فى حين أن هـذه المستعمرات تشـترى ما يزيد على ٢٥ ٪ من صـادرات البرتغال وكانت هذه المستعمرات تقوم بسداد التزاماتها تجاه البرتغال من عملتها الاجنبية والذهبية وذلك لقـلة كميات العملة البرتغالية لدى هذه المستعمرات وكذلك تركزت العملات الاجنبية التى تملكهـا المستعمرات فى بنك البرتغال ومقره لشبونة .

لقد رأينا أن البرتغال ينقصها رأس المال فصناعاتها يملكهـا ويديرها الاجانب ، كمـا أن معظم القطاعات الحيوية من الاقتصاد

يسيطر عليها رأس المال البريطاني والفرنسي والبلجيكي ، علاوة على ذلك يؤدي رأس المال الاجنبي دورا متزايد الاهمية في اقتصاد البرتغال . فمصنع الصلب المقام حديثا مثلا قد انشيء عن طريق اشتراك الشركات الالمانية والبلجيكية معا ، وقد اكتسبت شركة ارمسترونج للفلين في الولايات المتحدة حصة حيوية في صناعة الفلين وما هو اكثر اهمية من الحاجة الى رأس المال هو الافتقار الى المهارة الفنية فالبرتغال تعتمد على الافراد الاجانب في انشاء صناعاتها فتوسيع وتعميق الموانى وبناء المصانع يتم بوساطة الشركات الاجنبية ، لذلك فان البرتغال ليست في مركز يسمح لها بمساعدة أنجولا أو موزمبيق ، ومن ثم فان ادعاءاتها بأن وجودها في افريقية ضروري لأن الافريقي لن يكون في استطاعته ادارة الصناعات القائمة ، تعتبر ادعاءات لاتقوم على أساس ، فالبرتغاليون يفتقرون بنوع خاص الى المهارة الفنية .. وسوف تستطيع انجولا وموزمبيق عند استقلالهما اختيار مستشاريهما الفنيين من شعوب اكثر كفاية .

فماذا تقصد البرتغال اذن بعبارة دعم مدنية الرجل الابيض في افريقية ؟ مهما كان الأمر الذي تعنيه فانه بلا ريب ليس مأثرة مادية للغرب الذي يعتبر معاونتها له قليلة الأهمية وهو ليس بالتأكيد اقامة الاطار الدستوري لانها هي نفسها تفتقر الى تلك المؤسسات التي يجب توافرها وليست مدنية الرجل الابيض — التي نصبت البرتغال مع جنوبي افريقية من نفسيهما مدافعا عنها — هي المدنية الغربية المألوفة لنا . فلم تقم البرتغال حتى الآن بثورة صناعية فالصناعات — وما اقلها — تدار اما كمشروعات فردية واما كطوائف حرفية «نقابات» والمشروعات الصناعية الكبرى مملوكة للأجانب .

سالازار
الديكتاتور

أن البرتغال كانت سباقة فى ميدان كشف افريقية وليس لدى البرتغال أية نية فى التخلى عن مسئولياتها .. وهى تدرك تماما انها رسالة مقدسة أمرها الله بالقيام بها لهداية الكافرين سواء كانوا فى الهند أو فى غابات الكونغو أو فى هضاب أنجولا ولن تتخلى عن هذه الرسالة مهما فعل الآخرون .

سالازار

سالازار الديكتاتور

عقب اغتيال ملك البرتغال كارلوس الاول وولى عهده فى عام ١٩٠٨ ظهر الحزب الجمهورى الذى أخذ يعمل على ان يحوز ثقة الشعب البرتغالى ، كذلك ظهرت أيضا جماعة السكاربوتيريا وهم عبارة عن حفنة من الفوضويين والمفكرين الاحرار الذين أخـــذوا يقومون بحوادث ذات مغزى سياسي ضد الملكية والمحافظين وضد الكنيسة التى كانت تؤيد وجود الملكيـــة وفى تلك الفترة انقسمت القوى فى البرتغال الى قسمين قسم يؤيد قيام الجمهورية والقسم الآخر يؤيد استمرار الملكية .

ولما قامت الحرب العالمية الاولى استمر الجمهوريون يتربصون بالملكيين الذين كانوا بين سجين ومنفى وادت الاحوال الاقتصـــادية والمالية التى خلفتها الحكومات السابقة الى عجز الجمهوريين عن مواجهة حملة عسكرية قوامها ٢٥ الف جندى الى الجبهة الفرنسية ولهذا اضطروا الى طلب مساعدة الحلفاء وبذلك اشتركت البرتغال فى الحرب العالمية الاولى وقد أدى اشـــــتراك البرتغال فى تلك الحرب سواء فى اوروبا او فى مستعمراتها الافريقية النائية الى كثير من النكبات ظهرت بجلاء فى عام ١٩١٨ فقـــــد انتابت البلاد مشكلات سياسية واجتماعية ثقيلة وعلى الرغم من الجهود الجبارة التى بذلها الجمهوريون فى سبيل حل تلك المشـــكلات فقد تفاقمت

الاحوال حتى انحدرت الى ما كانت عليه الحال التى سبقت سقوط الملكية وبدأ عجز الميزانية يتضاعف فى عام ١٩٢٠ وكان هذا معناه انه فى خلال سنوات قليلة سيصل مقدار العجز حدا يفوق ميزانية الدولة كلها ، وزاد من تدهور الموقف المالى نقص نسبة المبالغ التى كانت ترد من المهاجرين البرتغاليين فى البرازيل وكانت هذه احدى المصادر الرئيسية لسد النقص فى الصادرات والواردات . اذ كانت البرازيل اذ ذاك مشغولة بمشكلاتها الخاصة .

ومن الناحية السياسية عمت الفوضي البلاد وتوالت الحكومات حتى لقد تداولت ثلاث منها فى العالم وكل منها تحاول أن تجد حلا للموقف وبلغ من تولوا الوزارة المئات وكادت هذه الناحية تخلق طبقة اجتماعية جديدة هى طبقة الوزراء الذين تولوا تلك المناصب والذين مازالوا يتولونها فعلا .

وتسببت الاضرابات الكثيرة والقتال الذى كان يحدث فى الشوارع وحوادث القاء القنابل والاغتيال السياسي والثورات والمؤامرات فى جعل البرتغال أقل الدول الاوربية مكانة واحتراما فضلا على ما تسببه من فوضي فى الادارة العامة وصار مجرد التفكير فى القيام باجراءات ثورية جديدة تؤثر تأثيرا بعيد المدى فى المجالين الاقتصادى والاجتماعى أمرا مستحيلا .

وقد حاول الملكيون المطرودون منذ بداية عصر الجمهورية القيام بأعمال مضادة فدبروا المؤامرات التى قادها « بينمتادى كاسترو » سنة ١٩١٥ ، « وسيدونيس بايس » سنة ١٩١٧ ولكن كل هذه المؤامرات قد باءت بالفشل وقامت معارضة من

الكنيسة سببت متاعب كثيرة فلم يقف الجمهوريون عقبة فقط في سبيل سيطرة الكنيسة سيطرة روحية بل قاموا بمصادرة املاكها .

وكانت الكنيسة الكاثوليكية أحد العمد التى ارتكزت عليها الملكية ولقد كشفت عداء الجمهوريين لها تلك الاجراءات المتتابعة التى كانت تهدف للحد من سلطاتها ، فمن ذلك انه بعد مضي ثلاثة أيام من اعلان الجمهورية أذيعت لائحة تتضمن فرض عدة قوانين صارمة على الجزويت وبعد اربعة أيام حرم التعليم الكاثوليكى فى المدارس واغلقت كلية اللاهوت فى جامعة كويميرا بعد خمسة أيام من اعلان الجمهورية وصدرت عدة قرارات هامة قضت بالغاء الاجازات التى كانت تمنح فى الاعياد الدينية ، كما قضت باباحة الطلاق وأصبح الزواج مدنيا . وفى عام ١٩٢٠ صدر قانون بفصل الكنيسة عن الدولة وآلت الى الدولة كل ممتلكات الكنيسة من الكاتدرائيات الى المدارس العالية التابعة لها ، واستحكم العداء بين الكنيسة والجمهوريين نظرا لتأييد الكنيسة للنظام الملكى.

ولما كانت البرتغال مازالت فى خطواتها الاولى نحو التصنيع لم تكن بها القوة العمالية الثائرة ولهذا أصبح التقدميون فئة محدودة الغنى والقوة .

وفى تلك الفترة كان سواد الشعب يمضي فى حياته العادية دون أن يعير التفاتا الى المسائل المعقدة والموضوعات المتشابكة التى كانت تبحثها الاقلية المتحضرة ، ونظرا لفقر جماهير الشعب فانها لم تشعر بالنتائج المادية التى ترتبت على هذه الازمة القومية .

في هذه الفترة العصيبة استدعى الدكتور سالازار ليتولى وزارة المالية ومنذ ٢٧ من أبريل عام ١٩٢٧ أخذ يستولى تدريجيا على السلطة حتى أصبح الحاكم المطلق فى البرتغال ومستعمراتها.

اعتمد سالازار فى بقائه فى الحكم على تأييد رجال الاعمال ، كما ان الكنيسة الكاثوليكية كانت لها مصالح هامة فى بقاء الحالة على ماهى عليه كذلك كانت الاحزاب السياسية ذات مصالح خاصة تقدمها على مصالح الدولة واذن فهى ترغب فى بقاء حكم سالازار ما بقيت الاسباب التى أدت الى المجىء به .

وهناك عامل آخر ساعد سالازار على البقاء فى الحكم وهو الموقف الدولى الذى أعقب الحرب فلم يجلب هذا الموقف أى متاعب لسالازار .

وقد ظل سالازار فى الحكم منذ عام ١٩٢٧ حتى الآن ولم تشهد البرتغال حاكما قاسيا مثل سالازار فهو ديكتاتور بكل ماتحمل كلمة ديكتاتورية من معان ، فلا حرية ، ولا ديمقراطية ، ولا عدالة اجتماعية .. بل سلطة مطلقة له ولرجاله ، وكان نتيجة لذلك ان جثم الفقر والجهل والمرض على الشعب البرتغالى وحال بينه وبين الحياة الكريمة ، فالفقر جعل الابن يتنكر لأبيه والاخ لاخيه وهو الذى كان سببا فى تفكك الشعب البرتغالى عامة والأسرة التى قال عنها سالازار انها نواة المجتمع .

أما السلطة فمركزة فى أقلية من الشعب تضع القوانين وتطبقها وتتحكم فى مصاير الاهالى . وأما الثروة فقد أصبحت للأثرياء من الاقطاعيين الذين بيدهم أيضا زمام الحكم والسيطرة

وصارت كل آمالهم الشهرة السياسية وجمع الثروات فى حين أن هناك كثيرين من أفراد الشعب البرتغالى يعملون فى مقابل شلنين فى اليوم ولا يتوافر لهم العمل الا يومين أو ثلاثة فى الاسبوع ، ولهذا تتفشي البطالة بين أكثر من ٥٠٪ من القوى العاملة ويعيش اغلبهم عيشة الكفاف .

أما الديمقراطية الغربية فكانت أحدى ضحايا ســـالازار ، فالحقيقة أن سيطرة رأس المال وتحكم الاقطاعيين واحتكار فئة قليلة من الافراد لاموال الشعب وثروته وعدم العناية بالفلاح والعامل كانت السبب المباشر لديكتاتورية سالازار الذى يضرب عرض الحائط بكل احتياجات الشعب ويقف فى وجه تيار الثقافة والتعليم حتى لا تنقض عليه الطبقات المثقفة وتطيح به وبنظامه .

كل هذا كان السبب الاول فى تأخر شعوب المســتعمرات البرتغالية والبرتغال ذاتها وانحطاط مستواها وعدم قــدرتها على مسايرة ركب المدنية والحضارة . واذا ما ارتفع صوت الاستنكار أو المعارضة وأراد تبصير الحكومة بهذه المخازى فى ســياستها الداخلية والخارجية وموقفها المشين ازاء البرتغــاليين والافريقيين الذين تساووا فى الظلم ، قوبل ذلك بالسجن والحبس والاعتقال والتشريد لكل من تسول له نفسه حتى مجرد اظهار الاســتياء ، وهناك « بوليس » لأمن الدولة له خبرته الخاصة فى التعرف على الذين لايرضون عن سياسة الحكومة .

وهنا أحب ان أشير الى ماحدث بعد الحرب العالمية الثانية فقد اعتقد البرتغاليون أن انتصار الحلفاء هو انتصار للحرية فى كل

مكان واعتقدوا أيضا أن هذا النصر سيكون خلاصا لهم من كابوس الطغيان المخيف الذى فرضه عليهم سالازار بجواسيسه ورقابته وأعماله الارهابية وتنكره لحق الشعب فى العيش عيشة كريمة .

ولكن الحكومتين البريطانية والامريكية اللتين زعمتا أنهما ستحققان للشعوب المستعمرة الحرية فى هذه الفترة سرعان ما أيدتا سالازار بعد أن عرفتا أنه ضالع معهما ، وهكذا خاب أمل الشعب البرتغالى وأيقن أن الحرية ليست الا كلمة تستغلها هذه الدول للتمويه على الشعوب وخداعها .

وقد انضم سالازار الى الامم المتحدة وحلف شمال الاطلنطى رغبة منه فى مسايرة الاتجاهات الدولية التى ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية .

وتم انضمام البرتغال الى حلف شمال الاطلنطى فى عام ١٩٤٩ ومن ثم دخلت زمرة المدافعين عن الحرية المدنية التى يفتقر اليها البرتغاليون انفسهم وبمساعدة بريطانيا وأمريكا تم قبولها عضوا فى الامم المتحدة وصارت وهى التى وقعت ميثاق حقوق الانسان تتنكر له نصا وروحا ، وتمتعت أيضا بعضوية جميع المنظمات العمالية والاجتماعية على الرغم من أن تشريعات العمال فى كل نواحى البرتغال ومستعمراتها تهبط بهم الى مرتبة العبيد .

واما من الناحية السياسية والدبلوماسية فقد افاد حكام البرتغال من المبدأ الدولى الخاص بعدم تدخل أية دولة فى الشئون الداخلية لدولة اخرى ، وقد ظهر هذا المبدأ فى كثير من أجزاء العالم بعديد من الحيل والاساليب ، ففى البرتغال تقنع خلف المعونة

الاقتصادية والعسكرية التى استعملت فى اخضاع الشعوب العزلاء سواء أكانت فى البرتغال نفسها أم فى مستعمراتها .

وعقلية سالازار عقلية استعمارية تقليدية عقيمة وهو لايزال يصر على أن انجولا وموزمبيق اقاليم برتغالية فيما وراء البحار وليست أقاليم افريقية غريبة عن البرتغال . ويقول سالازار فى تبريره للاستعمار البرتغالى ان مايحدث فى الكونغو والجزائر وجنوبى افريقية هو دفاع عن القيم الاوربية فى القارة الافريقية ويضيف سالازار أن مايسمى ريح التغيير ماهو الا عبارة لتحاشي المسئوليات الاوربية فليس لدى البرتغال أية نية فى التخلى عن مسئولياتها وهى تدرك تماما أنها رسالة مقدسة أمرها الله بالقيام بها لهداية (الكافرين) سواء كانوا فى دولة الهند أو كانوا فى غابات الكونغو أو فى هضاب أنجولا ولن تتخلى عن هذه الرسالة مهما يفعل الآخرون لانها لم تدخل افريقية مدفوعة بفكرة خسيسة وانما دخلت مدفوعة بمثل عليا هذه المثل فى سبيلها الى التحقيق ولن يعوق شيء ما البرتغاليين عن أداء واجبهم .

تقرير جلفاو وثورة سانتاماريا

في ظل الرق نجد شخصا يشترى ويتم الحصول عليه كأنه أحد رءوس الماشية التى يعنى صـاحبها بالابقاء عليها قوية ونشيطة كالحصـان أو الثور .

جلفاو ..

تقـــــــرير جلفـــــــاو وثـــــــورة سانتاماريا (١)

لم يكن من المستطاع تحقيق الوحدة القومية فى ظل حكـــومة سالازار وكانت اغلبية المثقفين وأصحاب المهن ترى بوضــــــوح متناقضات ونقائص الحكومة واعتداءها على حقوق الشعب .

وفى هذه الاثناء ظهر رجل جديد يدعى الكابتن هنريك جلفاو ، وقد قام جلفاو بكشف فضائح ســـالازار وأساليبه فى المستعمرات البرتغالية فى افريقية فقد أوفدت الحكومة البرتغالية هنريك جلفاو الى افريقية ليضع لها تقريرا عن أحوال المستعمرات ، وقد سافر جلفاو فعلا الى أنجولا ورفع التقرير الاول الى الجمعية الوطنية عام ١٩٤٧ وعلى اثر رفعه لهذا التقرير قام سالازار بسجنه ولكنه استطاع أن يهرب فى عام ١٩٥٩ وظل مختفيا ثم ظهر عام ١٩٦١.

وقد اخفت حكومة سالازار التقرير الى أن حصلت صـــحيفة

(١) نشر هذا التقرير في جريدة الاوبزيرفر في ٢٩ من يناير سنة ١٩٦١

الاوبزيرفر على صورة منه (وصلتها من البرازيل) ونشرتها لاول مرة فى عددها الصادر بتاريخ ٢٩ من يناير سنة ١٩٦١ وقد استهل الكابتن جلفاو تقريره بقوله : انه خلال سنوات عدة كانت هناك موجة هجرة من مستعمرات البرتغال الافريقية وكانت الهجرة المرخص بها الى اتحاد جنوبى افريقية وروديسيا عاملا هاما ولكن الهجـــــرة السرية كانت تستنفد بسرعة متزايدة سكان غينيا البرتغــــالية وموزمبيق وانجولا ، الامر الذى يعتبر مسئولا بصورة جزئية عن الفقر السكانى الخطير جدا ، ذلك أن قلة فقط من الافراد تعود بعد انتهاء فترة التعاقد كما تصبح بالفعل داعية الى هجرة العدد الكبير اذ أنها تعود دائما بالاخبار التى تؤكد الفارق بين مستوى المعيشة فى المستعمرات البرتغالية وفى المستعمرات المجاورة الاخرى .

كانت الهجرة السرية فى الداخل وعلى مسافات كبيرة من الحدود ، وهذا واضح من مظهر القرى الوطنية الخالية من الحياة. ففى الاقاليم الواقعة على الحدود لا ترى أحدا من الرجال الاقوياء البنية اذ لا تضم القرى سوى المسنين المرضى والاطفال والنســـاء والمصابين بالامراض . لان السكان يهربون جماعات ويهجـــرون الارض وتصبح بيوتهم وأراضيهم فراغا ، ويقدر التقرير — بروح يغلب عليها الطابع المحافظ — أن المستعمرات الثلاث فقدت مليونا من الانفس نتيجة الهجرة خلال السنوات العشر الاخيرة ، وان المعدل السنوى الآخذ فى الازدياد سوف يكون حوالى مائة الف .

ويستطرد جلفاو فى تقريره قائلا : ان الخسارة فى السكان بسبب الانهيار الجثمانى يفسرها نقص الخدمات الطبية وقصــــور التغذية وهبوط معدل المواليد وارتفاع نسبة وفيات الاطفال ومخاطر

العمل ، وفى هذا يؤكد التقرير أن انحطاط الوطنيين من الوجهة الجثمانية وبخاصة فى القسم الشمالى من موزمبيق حقيقة لايمكن ان تمر دون أن تكون موضـــــع الملاحظة حتى من جانب المراقب العرضى ، ثم يقول وهذه الامراض تعزى الى السياســـات التى سارت عليها الادارة فى السنوات الستين الاخيرة ، فالحروب التى اريد منها احتلال البلاد جاءت فى أعقاب قرون ثلاثة من حروب الغزو وحطمت الوطنيين اذ تمت بعض العمليات الحربية بقسوة بالغة بحيث كانت عمليات ابادة فى الحقيقة .

وأوضح صورة للفقر السكانى تلقاها فى حدة انخفاض معدل المواليد وفى المعدل المخيف لوفيات الاطفال وازدياد عدد المرضى وفى الاحصائيات عن الوفاة من أسباب متعددة مثل ظروف تجنيد الافراد للعمل .

ويضيف التقرير أن هذه الحقائق لا يمكن ادراكها تماما عن طريق الاحصائيات الرسمية لان الارقام صماء ساكنة انها لاتصرخ ولا تتحدث عن الألم ، وانما يتطلب الامر أن يتوجه المرء ليشـــاهد الاشياء بنفسه وان نشجع الذين يريدون أن يروها بدلا من أن نحكم عليهم بأنهم أشخاص غير مرغوب فيهم ويجب على الزائر أن يكتسب ثقة المواطنين وأن ينصت الى الموظفين الاداريين الذين يخشون أن يضمنوا تقاريرهم مايجرءون على الحـــديث عنه فى المناسبات الخاصة . وأخيرا يتعين عليه أن ينصت الى أعضـــاء الارساليات الدينية وهم يحدثونه بمالا يجسرون على ايراده فى تقاريرهم .

ومما يذكر أن الاطباء يحاولون التهرب من الذهاب الى المناطق الداخلية وما يزالون متركزين فى أهم المراكـز المدنية وما تزال المستشـفيات تنقصها التنظيمات الصـحية الاولية وما تزال المستشـفيات لا وجود لها فى الاماكن التى تشتد فيها الحاجة اليها .

ان الحاجة ماسة الى عدد اكبر من الاطباء والمساعدات كما أن الخدمات الطبية والادارية ناقصة ويستطيع المرء أن يقول : لن العناية قبل الوضع وبعده ورعاية الاطفال والحملات ضـد الملاريا ومرض النوم وغير ذلك من الامراض المتوطنة مجـرد شكليات . ان شبكة البيروقراطية ونظاما معقدا من المصالح الذاتية المتضاربة تتجمع بحيث أن كل شيء لايعدو أن يكون مجرد لافتة . واخطر الحقائق أن هذا الامر لا يفهمه الذين يأتون لرؤية الخدمات الصحية أو الذين يقومون بزيارات مرتبة من قبل الى المستشفيات حيث لا يعملون سوى مسح الارضية وتنظيف الحمامات لمنفعـة الزوار .

وأؤكد أنه باسـتثناء حالات نادرة لاوجود للخدمة الطبية للوطنيين فى غينيا وانجولا وموزمبيق سواء الخدمة التى تدفع ثمنها الدولة أو الصناعة الخاصة ... والمنظمات الخاصة .

ويقول التقرير « اننا نعانى كما لو كنا نعانى من الآثار المدمرة للحريق بسبب عدم وجود الماء أو المضخات أو رجال الاطفاء أو بعبارة أدق توافر الماء أو المضخات ذات الكفاية أو رجال الاطفاء

المدربين ، وعلى ذلك ليس ثمة مايدعو الى الدهشة اذ تصل نسبة وفيات الاطفال الى ستين فى المائة » .

ثم يضيف التقرير : ان حالات معدل الوفاة تبلغ ٤٠ فى المائة بين العمال وقد أخبرنى الاطباء أن عددا قليلا جدا من الوطنيين ينجو من البلهارسيا وأن عدد الاطفال الحديثى الولادة والذين يموتون يزيد بدرجة مخيفة والخلاصة ان جزءا كبيرا من السكان يهرب الى الخارج والباقى فى طريق الدمار الجثمانى .

مشكلة العمل :

ويناقش جلفاو مايدعوه مشكلة موقف العمل فيقول : اننا نعرف جميعا التناقض بين الافكار والمبادىء التى يتضمنها القانون وحقائق السخرة . ان امامنا طريقا طويلا نسير فيه قبل أن يكون العمل حقيقة جزاء اختياريا .

فنقص الايدى العاملة مزعج جدا فى انجولا التى تقترب من هذه الناحية من كارثة ويقتبس جلفاو من آخر احصاء عما كان معروفا رسميا باسم « الشعب غير المتحضر » فيقول : ان عدد سكان المستعمرة كان ٤٢٥ر٧٢٥ر١ من الذكور و ١٨٣ر٩٢٠ر١ من الأناث ومن الذكور ٧١٧ر٢٠٣ر١ بين سن ١٦ ، ٧٤ وطبقا لاحصائيات ادارة شئون الوطنيين أدرج ٥٨٩ر٧٤٦ من الذكور تحت بند دافعى الضرائب وبذلك اعتبروا صالحين للعمل وبعبارة أخرى ولاسباب عدة وان كان ذلك يرجع الى حد كبير الى العجز الجسمى فان ١٢٨ر٤٥٩ من الذكور (أى اكثر من ٣٣٪ فى سن العمل) عاجزون

من العمل . وفى مراكز تجنيد العمال يذكر التقرير أن دافعى الضرائب عرضوا على الكشف الطبى الذى رفضه ١٢٪ منهم لاسباب صحية وان ١٠ ٪ هربوا من العمل أو مرضوا أو لم يمكن الاعتماد عليهم لاسباب أخرى وتم الالتجاء الى العنف بقصد تعويض النقص وهكذا لايعفى حقيقة من السخرة سوى الموتى .

وكذلك فان الموقف فى أنجولا أسوأ منه فى موزمبيق اذ اصبحت الحكومة فى المستعمرة الاولى عمدا المصدر الرئيسي لجميع العمال الوطنيين وتوزيعهم الى الحد الذى عنده يتوجه المستوطنون الى ادارة شئون الوطنيين بمطالب كتابية يقدمونها دون أن يشعروا بأى ارتباك طالبين موردا من العمل وهم يستخدمون لفظة (مورد) كما لو كان الانسان يشترى سلعا ويتبع الاسلوب ذاته فى موزمبيق وباستمرار هذا الاسلوب واساءة استخدامه تعود المستوطنون على فكرة التزام الحكومة بتدبير العمال لهم ويصح القول بأنه يسود هناك اعتراف ضمنى بهذا الالتزام من قبل الحكومة حيث أنها تورد وتمارس فعلا باسم التوريد أعمالا من العنف ادت الى سجن المجندين للعمل والى مساوى أخرى لا تتفق بأية حال مع نصوص القانون .

ويستطرد التقرير قائلا : ان هذه العادة يستنكرها القانون ولكنيوحى بها فى المنشورات الدورية وغيرذلك منالاوامر الرسمية ذات الصفة السرية ويقول جلفاو : ان الموقف من بعض الوجوه أشد خطورة من ذلك الذى يخلفه الرق المجرد . ففى ظل الرق نجد الشخص الذى يشترى ويتم الحصول عليه كأحد رءوس الماشية كان يعد فى نظر صاحبه (أصلا من الاصول) ويعنى الاجير بالابقاء

عليه فى صحة قويا نشيطا بالطريقة التى يعامل بها حصانه أو ثوره. واليوم لايشترى الوطنى وانما يجرى استئجاره من الحكومة وان كان يشغل مركز الرجـــل الحر . ويكاد سيده لايهتم به أن مرض او مات طالما أنه (اى الوطنى) يواصل العمل مادام حيا . وحين يعجز عن العمل او يموت يستطيع سيده دائما أن يطلب امداده بعمال آخرين .. لقد فقد بعض أصحاب الاعمال ٣٥٪ من عمالهم ولكنهم لم يحرموا أبدا الحصول على موارد جديدة .

استحالة استمرار الاوضاع الحالية :

ويقول جلفاو : اننا لانستطيع الابقاء على هذه السياسة ولا نستطيع السماح باستمرار هذا السكون أو عدم الاكتراث مما يبديه الذين يتقبلون هذه السياسة والذين يبدو أنهم تعودوا عليها . وانى سوف أحجم عن ايراد الحالات والامثلة ، ولكنى على استعداد لان اكشف عنها للحكومة كما فعلت فى اصرار خلال السنوات العشر الاخيرة .

كيفية استخدام العمال الوطنيين :

ويلاحظ التقرير وجود حالات يجرى فيها استخدام العمال الوطنيين فهناك المتطوعون ولكن السلطات فى العادة تمنع العامل الذى يقبل باختياره أن يختار صاحب العمل . فلا يستطيع اختيار من يدفع له أحسن الأجور وانما يرغم علىقبول العمل لدى الشخص الذى تعينه السلطات بحيث يحصل على الحد الادنى من الاجـــر الذى ينص عليه القانون . وهناك عمال التعاقد اى جمع العمال

لاصحاب الاعمال عن طريق ادارة شئون الوطنيين ويكره الاهالى هذا الاسلوب الثانى اذ كان بعضهم ينقل الى مدينة«مساوتومية»(١) فى ظروف شبيهة بالتى يجرى فى ظلها تصـــدير الحيوانات وهذا يلقى الرعب فى قلوبهم ، بل كانوا يمتلئون رعبا لمجرد التعاقد على العمل فى المزارع بأنجولا ، لانهم يعلمون انهم يموتون بنسبة ٢٠ — ٣٠ فى المائة .

وتجند الحكومة العمال لخدماتها كما تفعل بالنســــبة الى المستوطنين وغالبا مالجأت الى استخدام النساء والعاجزين عن العمل ولما كان يحدث الا تتوافر لدى السلطات المحلية الاعتمادات المالية اللازمة لهذا فان الحكومة ترغم الوطنيين على العمل بدون اجر أو غذاء فى الطرق والمزارع الحكومية .. وكان يشتد الطلبّ على العمال فى أقاليم نائية جدا ولا يؤدى لهم أجرهم الا بعد تنفيذ الاعمال بشهور طوال .

ان جمهرة الناس الذين يعملون لحسابهم من الفلاحين والتجار ورجال الصناعة ومن الوطنيين المشتغلين بتربية الماشية ، كانوا من الاهمية بالدرجة الاولى بالنسبة الى انتصار المستعمر ولكن يلاحظ «جلفاو» أن حالتهم التى تفتقر الى التنظيم قللت من الانتاج وكذلك لم تتخذ خطوات ذكية لتحسين الاساليب المستخدمة فى الزراعـــة فالخدمات الفنية — فيماعداالبيطرية منها — تكاد لاتصل الى الوطنى. ونظام تنمية انتاج بعض المحصولات ذات القيمة الاقتصادية الكبرى للوطنيين عن طريق نظام منح الامتيازات للشركات الكبرى وكبار

---

(١) جزيرة مواجهة لانجولا وهى مستعمرة برتغالية .

الملاك كان نظاما مغريا من الناحية النظرية ولكن من الناحية العملية لم يكن موضع الرعاية والاعتبار سوى مصالح الشركات التى منحت تلك الامتيازات فى حين هبط الوطنى الى منزلة رقيق للأرض . انه يتحمل جميع الاخطار فى حين تضمن الشركات لنفسها الارباح .

ان الفلاحين الوطنيين لايؤمنون سوى بوجود نظام الزراعة والسلطات وغير ذلك من اجهزة الدعاية ممن لايعلمونهم شـــيئا وانما يفرضون عليهم زراعة السلع المطلوبة فقط حينما يراد ذلك سواء فى الارض الجيدة أو الرديئة وأحيانا ينطوى ذلك على خسارة تحيق بمحصولاتهم الغذائية نفسها .

استغلال أصحاب الاعمال :

ثم يوجه التقرير النقد الى رجال الاعمال الذين يتهربون من أحكام القانون سواء برشوة المسئولين أو بالاستفادة من تساهل السلطات . هذا الموقف من جانبهم يتجلى فى الصور الآتية : ـــ

(أ) المقاومة بكل الطرق الممكنة لسياسة الاجور العادلة .

(ب) سوء معاملة العمال اذ ماتزال العقوبات البدنية وأســـاليب العنف الجثمانى قائمة فى موزمبيق . وانه تسود الفكرة التى تعتبر الوطنى مجرد حيوان لحمل الاثقال ومن المظاهر الواضحة عدم الاكتراث بحالة العمال الجثمانية والمعنوية .

(جـ) الانحراف بسبب أداء كل شيء بوساطة العمل اليدوى .

(د) نقل العمال من جهة الى اخرى دون مراعاة للتغييرات فى البيئة المناخية .

(هـ) عدم العناية بتوفير المساكن الصحية اللائقة .

(و) نوع القائمين بجمع العمال اذ يمتازون بالخشونة والقسوة .

(ز) وأخيرا فان روح الابادة ماتزال متغلغلة فى القرن العشرين .

ويختتم الكابتن ((جلفاو)) تقريره بالعبارات الخطيرة التالية : ((انى أتحمل المسئولية على اثبات صحة كل ما أقول . انكم لاتستطيعون توجيه النقد الى الا لاتى لم أذكر الحقيقة كلها او بالأحرى لانى لم أصف جميع وجوه المشكلة ولكن هذا يتطلب مجلدات كثيرة ويستغرق ساعات كثيرة)) ..

هذه خلاصة التقرير الذى وضعه مسئول أوفدته الحكومة البرتغالية فكان دقيقا فى الملاحظة وعرض الحالة كما رآها بنفسه وانه ليدمغ الادارة البرتغالية بكل ما تنفر منه أبسط مبادىء الاخلاق والعدل . وبهذا أخفت حكومة سالازار هذه الوثيقة حتى لايطلع عليها الناس خارج مستعمراتها الافريقية ، وبذلك تشتد نقمتهم على أساليبها التى عبر عنها الكاتب بأنها اشبه بعملية ابادة بالجملة للسكان الافريقيين .

ولم تقف حكومة سالازار عند حد حبس التقرير ولكنها ترحب بصاحبه فى السجن جزاء على ماورد فى تقريره . ولكن هل أنقذها باخفاء الحقائق من سخط الافريقيين ؟ الجواب طبعا بالنفى على وجه التأكيد ويدل على ذلك قيامهم بالثورة فى عام ١٩٦١ والتى سوف تنتهى حتما بأن يضطر الاستعمار البرتغالى الى الخروج من هذه الاقاليم الافريقية بعد أن عرفت افريقية طريقها الى الوحدة والتضامن .

هل هدف جلفاو تحرير المستعمرات ؟

فى يناير سنة ١٩٦١ استولت جماعة من المغامرين بقيادة كابتن « جلفاو » على السفينة سنتا ماريا التى تمتلكها شركة كوينال البحرية فى البرتغال ، وظهر بعد ذلك أن هدفهم كان الاتجاه بالسفينة الى غربى أفريقية والنزول فى أقرب نقطة ممكنة من أنجولا أو غينيا ومن هناك يدبرون غزو الاقليم التابع للبرتغال وكان « جلفاو » يأمل أنه اذا ما استطاع أن يضع قدميه فى أنجولا ، وكان قد خدم فى أنجولا كمدير وله كثير من المؤيدين هناك ، فانه يمكنه الانتصار للمستوطنين .

وأعلنت الحكومة البرتغالية أن«جلفاو» من القراصنة وأرسلوا سفنا لاعتراض طريق سانتا ماريا ، ولكنهم لم يثقوا فى البحارة فرافقت السفن الاسبانية السفن البرتغالية . وكان على ظهر السفينة سانتا ماريا عدد كبير من الامريكيين ، ولهذا تعقبت السفن الامريكية سانتاماريا وأجبرت « جلفاو » على التوجه الى البرازيل بدلا من الاتجاه الى داكار فى أفريقية حتى تضمن سلامة الركاب الامريكيين .

ومؤيدو «جلفاو» فى المستعمرات هم المستوطنون الساخطون على سالازار أما الافريقيون فليس أمامهم سوى القتال من أجل حريتهم .

ولنا أن نتساءل: من هو « جلفاو » الذى أحدث مثل هذا الاضطراب ؟ هل كان ثائرا مصمما على تقويض النظام القائم الذى

يجعل الرجل الابيض يجنى كل الربح فى حين أن الرجل الاسود يعمل فى المناجم والحقول ؟ .

لم يكن « جلفاو » هذا الشخص . فقد كان فاشيا عنيدا وكان أحد عصبة من الضباط اطاحوا بالجمهورية عام ١٩٢٦ وولوا سالازار الحكم وكوفىء بمختلف المناصب العليا فى المستعمرات . فقد كان حاكما على انجولا وأصبح فى النهاية مفتشا أعلى للمستعمرات . وأقنعته تجاربه أن دكتاتورية سالازار كانت عاجزة وأن البرتغال لم تكن تجنى الفائدة الكاملة من ممتلكاتها الاستعمارية وكانت حجته انه لكى تستغل البرتغال موارد الثروة فى مستعمراتها بطريقة صحيحة فانه يتحتم وقف تصدير العمال وقد أوضح عيوب وأخطاء النظام الكائن فى تقريره .

صحيح أن تقرير « جلفاو » كان فى كثير من النواحى يعتبر وثيقة انسانية ولكن كان هدفه هو اصلاح النظام بدلا من وضع الافريقى على قدم المساواة مع الاوروبى . وكان عجز الدكتاتورية البرتغالية سببا فى أن يتجه « جلفاو » ببطء الى المعارضة ومع ذلك فانه عجز عن أن يدرك أن الوحش الذى ساعد فى خلقه فى وضع يستطيع فيه كبت كل معارضة . ولم يكن من السهل الاطاحة بسالازار ، مثلما كان الامر سهلا فى الاطاحة بالجمهورية ، فبوليس الأمن المشهور المنظم على غرار الجستابو كان منتشرا فى كل مكان وسرعان ماوجد « جلفاو » نفسه مع غيره من المتآمرين فى السجن محكوما عليه بأربع سنوات لتعريضه أمن الدولة للخطر . وبعد أن قضي مدة العقوبة المحكوم عليه بها حددت اقامته فى منزله ولكنه فى النهاية هرب ولجأ الى البرازيل وكانت هناك جماعات اخرى

فى البرتغال . وفى عام ١٩٥٨ سمح سالازار كرما منه باجراء انتخابات ، وبالرغم من انه كان هناك ثلاثة أشهر فقط حصلت فيها المعارضة على الحرية لخوض المعركة فقد اســــتطاع الجنرال « دلجادو » ــ المرشح المعارض ــ ولم يكن شخصا محبوبا على الاطلاق ولكن كان رمزا فقط للمعارضة لسالازار أن يحصل على تأييد وافر . ويقرر الرسميون أن هذه النسبة تقف عند حد ٢٣٪ من الاصوات .

وفى المستعمرات تلقى نظام سالازار صدمة كبيرة ، فقــد أظهرت أنجـــولا وموزمبيق تأييدهما لدلجادو . حقيقة أن دلجادو اضطر للهرب من البرتغال ولكن وجود معارض لســـالازار فى البرتغال والمستعمرات أوجد الامل فى أنه يمكن فى المستقبل عندما تحين الفرصة استغلال هذا . وكان « جلفاو » مثلا يأمل أنه اذا ما استطاع الوصول الى أنجولا أو غينيا فانه يمكنه الاعتماد على تأييد الوطنيين البرتغاليين لقلب النظام الاستعمارى القائم .

ومن المهم أن نعرف جيدا أن هدف ((جلفاو)) لم يكن تحرير شعب أنجولا أو المستعمرات البرتغالية الاخرى وانما كان هدفه الاطاحة بدكتاتورية سالازار ولم يفكر أى فرد من زعماء المعارضة مطلقا فى استقلال أنجولا أو موزمبيق ، ــ وكان أبعد ما وصل اليه تصورهم السياسى هو تخفيف سيطرة الدولة الام على أقاليمها فيما وراء البحار مع نقل سلطات وافرة للمستوطنين وبالاختصار كان هدفهم هو مستعمرة على غرار روديسيا الجنوبية .

كان التأييد الرئيسي « لجلفاو » بين المستوطنين البرتغاليين ،

لذلك لم يستطع أن يصطدم بمصالحهم وكان طبيعيا أن تتعارض مصالحهم مع مصالح المواطنين الافريقيين . ومن ثم فان « جلفاو » يؤيد مصالح المستوطنين ولا يذكر كلمة عن استقلال أنجولا أو موزمبيق ، فتلك مسائل ليست ذات أهمية عاجلة بالنسبة له وهو يدرك أن البرتغال لم يكن فى استطاعتها أن تتخلى عن مستعمراتها أو تخلى سبيلها لان وجودها هى نفسها يعتمد على استغلال هذه المستعمرات وهو مثل غيره من زعماء المعارضة على استعداد لان يواجه تعديلات فى التنظيمات الحالية فى مصلحة المستوطنين البرتغاليين ولكن دون أن يكون هناك تغيير جوهرى حقيقى . وقد قلبت الثورة الافريقية فى فبراير سنة ١٩٦١ خططه بقدر ما قلبت خطط سالازار وأدرك «جلفاو» أن المستوطنين يلتفون حول سالازار لابادة الافريقيين وتحول حلمه لذلك الى كابوس .

ومع ذلك فقد كان لاستيلاء « جلفاو » بطريقة مسرحية على السفينة سانتا ماريا أثر طيب واحد فقد كان النظام الاستعمارى البرتغالى حتى ذلك الوقت قادرا على البقاء دون أن يسترعى اليه الانظار وقد وضع عمل « جلفاو » حالة المستعمرات تحت الاضواء الساطعة .

العقلية الاستعمارية البرتغالية

يجب أن يبقى فى الشعب البرتغالى الحلم بما وراء البحار والشعور والفخر بالامبراطورية .. ان أفريقية بالنسبة لنا أكثر من أرض نستغلها .. أنها مبرر أدبى فى وجودنا كدولة كبيرة فبدونها نكون شعبا صغيرا وبامتلاكها فاننا بلد عظيم .

جريدة ((العالم البرتغالية))

العقلية الاستعمارية البرتغالية

بعد أن وصل سالازار الى الحكم اخذ يعمل جاهدا على أن يصوغ للاستعمار البرتغالي فكرة جديدة تجمع بين تراث الماضي والتقاليد القديمة وبين حقائق العصر الحاضر .

ويقول سالازار : ان البرتغال كانت سباقة فى ميدان كشف افريقية وليس لدى البرتغال أية نية فى التخلى عن مسئولياتها وهى تدرك تماما أنها صاحبة رسالة مقدسة أمرها الله بالقيام بها لهداية (الكافرين) سواء كانوا فى دولة الهند أو كانوا فى غابات الكونغو أو فى هضاب أنجولا ، ولن تتخلى عن هذه الرسالة مهما يفعل الآخرون لأنها لم تدخل أفريقية مدفوعة بفكرة خسيسة وانما دخلت بمثل عليا والمثل فى سبيلها الى التحقيق ، ولن يعوق شيء ما البرتغاليين عن أداء واجبهم .

هذه العقلية أو الفلسفة الاستعمارية فى نظر سالازار تقوم على العناصر التالية :ــ

(أ) العنصر الجغرافى أى (فكرة الاقاليم الشاسعة التى عليها علم البرتغال) ، والادراك بأن سيادة البرتغال كدولة أوربية صغيرة تمتد عبر قارات ثلاث وتأكيد الحقيقة الرائعة بأن البرتغال هى الدولة الاستعمارية الثالثة فى العالم .

(ب) العنصر التاريخى وفيه تكمن رسالة البرتغال كشعب مختار لتمدين الغير واقتسام القيم الروحية معه ، على حد قول سالازار .

(ج) العنصر المادى أى جماع جهود ومشاق البرتغال التى

عانتها حملاتها التى بعثت بها لتأخذ من البلاد البعيدة ثرواتها الدفينة وأن تنشيء فى هذه البلاد مراكز للانتاج والربح وأن تقيم المدن فى الاماكن التى كانت من قبل برارى موحشة .

(د) العنصر الوطنى وينجلى فى كلام حاكم عام أنجولا حيث يقول : « اقسم أننا نحن البرتغاليين فى أنجولا سوف ننفذ واجبنا كوطنيين مهما كانت الضرورة ومهما كانت صعوبة التضحية . اننا نعرف كيف نموت مضحين بأرواحنا من أجل أراضي البرتغال التى نرى أن تكون وان تظل دائما برتغالية » .

ومن هذا التحليل الذى قدمناه يمكن أن نصل الى أن الهدف هو انشاء مجتمع برتغالى كبير ينتشر من الناحية الجغرافية فى جميع أنحاء الارض ولكنه متماسك بفعل روابط روحية هى من خصائص السياسة البرتغالية وبذلك لا تعدو المستعمرات أن تكون امتدادا للبرتغال نفسها وفى هذا المعنى يقول الديكتاتور البرتغالى سالازار « بالمعيار القومي نفسه .. وبدون تمييز يرتد الى الموقع الجغرافى فاننا ندير المستعمرات البرتغالية ونوجهها » .

ولكن هل تتفق الحرية مع الامبراطورية ؟ .. طبعا لا .. فالامبراطورية معناها السلطة ولا وجود للسلطة اذا كانت القوة مقسمة واذن — على حد قول سالازار — يجب أن تخضع أنجولا وموزمبيق أو الهند كما هى الحال بالنسبة الى ميهنو أوبيرا لسلطان الدولة الواحدة . اننا وحدة قانونية وسياسية ونرغب فى أن نسير قدما فى الطريق الى الوحدة الاقتصادية .

ومعنى هذا أن المجتمع البرتغالى الكبير يجب أن يخضع للسلطة المركزية وأن تترابط اجزاؤه من النواحى الحضارية

والسياسية والاقتصادية ، وبتعبير آخر فان الهدف النهائى الحقيقى يتلخص فى عبارة دولة واحدة وجيش واحد ودين واحد وحضارة واحدة ..

ويتحدث البرتغاليون عن رسالتهم التمدينية بوصفهم الشعب الذى عهد اليه التطور التاريخى بأن يضطلع بهذه المهمة . ورأينا فى هذا الكلام أن هذه هى النازية بفلسفتها عن سمو الشعب الالمانى وتفوقه بما يترتب على ذلك من حقوق التوسع الخارجى وهذه هى الصهيونية واستنادها الى خرافة شعب الله المختار ، وهذه هى العنصرية المتعصبة التى يمثلها ويحاول تطبيقها البيض فى اتحاد جنوبى افريقية ولاشك أنها نظرة الاستعلاء من ناحية الرجل الابيض فى معاملته لاهل البلدان التى استعمرها وفرض عليها سلطانه واستقلاله ، ولكن روح الفخر بالحديث الدائم عن رسالة البرتغال التاريخية وحضارتها القديمة انما تعكس من جهة أخرى ماتعانيه هذه الدولة من الشعور بالنقص لانها بلد أوربى صغير ولا وزن له يعتد به فى السياسة الدولية .

ويدل على حقيقة وجود هذا الاحساس ما جاء فى افتتاحية جريدة « العالم البرتغالى » من انه بدون المستعمرات البرتغالية فى افريقية سوف نكون شعبا صغيرا وبامتلاكها فاننا بلد عظيم .. فالبرتغاليون يتشبثون بممتلكاتهم لأنهم — الى جانب أسباب أخرى — لا يريدون أن يواجهوا الحقيقة الواقعة التى لا سبيل الى انكارها الا وهى أن وطنهم الاصلى فى أوروبا بلد صغير فعلا .

ويقول وزير المستعمرات أرميندو مونتيرو : كثيرا ما يقال اننا

معشر البرتغاليين نتغنى بتاريخنا بل يقول البعض اننا نحتمى فى الماضي لنعوض تفاهة الحاضر وبرغم ذلك فاننا فى البرتغال نشعر الآن اننا ورثة تقاليد عظيمة جدا حتى انه يحق لجيل اليوم أن يستحضر الماضي لاكذكرى لاشياء ميتة وانما كمصدر للالهام للمستقبل ، فهل أقامت الدولة الجديدة الماضي من أجل المستقبل ؟ من الضرورى لدراسة هذا الأمر الالمام بفكرة عن الموقف الذى تقفه البرتغال فى العالم اليوم وعلى الموقف الذى كانت تقفه عندما كانت قوة بحرية تتمتع بالسيادة والسيطرة ، كانت البرتغال فى أيام مجدها تتمتع بمزايا كبيرة معينة فقد استفادت من الفتوح المراكشية فمجاورتها للمراكشيين كانت حافزا لها على شن حرب متواصلة . وكانت البرتغال قد أصبحت مستقلة فى القرن الثانى عشر فى الوقت الذى كانت فيه أجزاء كبيرة من اسبانيا لا تزال تحت السيادة المراكشية . ولم تكن الدول الأخرى فى أوروبا الغربية وبخاصة ذات الولايات الالمانية والايطالية قد دعمت قواتها .

وكانت فرنسا وهى أكبرها وأقواها جميعا لا تزال ملكية اقطاعية ، وقد تمتعت البرتغال بسبب صغر حجمها بوحدة كانت الاولى فى ميدان الدول الاخرى وكانت نتيجة ذلك أنها كانت الاولى فى ميدان الاكتشافات البحرية .

ولكن قد يكون من الخطأ القول أنها أقامت امبراطورية ، فقد استولت على موان معينة على الساحل وسمى ملك البرتغال نفسه سيد التجارة واستخدم تفوقه البحرى فى سلب التجارة الخارجية من الاقطار الأخرى .

دعم الفلسفة الجديدة :

حرصت حكومة سالازار على تأكيد هذه السياسة الاستعمارية وفلسفتها وأهدافهـــا فى عقول أفراد الشعب البرتغالى وبخاصة صفوف الشباب فقامت بدعاية واسعة جدا عن طريق جميع وسائل الاعلام وجندت الكثير من الأقلام ومنحت أربابها المكافآت السخية لاثارة حماس الشعب من أجل الهجرة الى المستعمرات لاستغلال خيراتها . ولم يهتم المثقفون بهذا الأمر لجهلهم حقائق الاحوال فى المستعمرات البرتغالية من جهة وبفعل الجـــو الخانق فى داخل البرتغال ذاتها الذى خلقته ديكتاتورية سالازار من جهة أخرى وكان من اغراض الدعاية أن يتعلم الجيل الناشيء المسائل الاستعمارية ، وكخطوة أولى فى هذا السبيل دعمت المدرسة العالية للدراسات الاستعمارية والتى تحولت فيما بعد الى « معهد دراسات ما وراء البحار » وذلك حتى يصـــير فى الامكان تكوين طبقة تتولى الادارة فى هذه المستعمرات وتحقيق الاهداف البرتغالية ،وفى هذا المعهد ــ ومدة الدراسة فيه أربع سنوات ــ يدرس الطلاب مواد معينة مثل ادارة المستعمرات ونظرية الحكم فيهـــا وعلم الاجناس ومبادىء القانون البرتغالى واللغات المحلية .

وكذلك بذلت الجهـــود من أجل اثارة اهتمام طلاب المدارس الثانوية بالمتلكات وبخاصـــة فى أفريقية عسي أن يكون ذلك دافعا على نشاط الهجرة اليها والاقامة فيها . ولم يحدثوا الطالب عن الآمال المادية المشرقة التى تنتظره وانما عملوا على بعث روح المثابرة والاقدام كما فعل اسلافه فى العصور الماضية فيستطيع أن ينشر ثقافة بلاده وأن ينهض بالوطنيين البدائيين وأن يكتشـــف مجاهل

الغابات ويشق الطريق ويحول القفار الى أراض خصبة ، ويقيم العدل وينشر نظم الادارة السليمة . وكانوا يعلمونه أن له رسالة سامية تستحق البذل والتضحية وهى الرسالة التى عبر عنها حاكم مانيكا فى (موزمبيق) عن زيارة الرئيس البرتغالى كرافير لوبيز فى عام ١٩٥٦ فقال : اننا هنا منذ أكثر من أربعة قرون ونصف قرن وها نحن أولاء اليوم أكثر من أى وقت مضي نضطلع بعمل عظيم ناجح ينحصر بعون الله ، فى اعلاء راية البرتغال واخضاع البرية القفر ، وانشاء المدن واشاعة الاخاء فيها وتعليم مجموعة الوطنيين البدائيين وتثقيفهم والسير بهم نحو حياة أفضـــــل وتنظيم غرائزهم البدائية وصياغة روحهم وفق المثل المسيحية العليا واقامة العدل بينهم بروح من الفهم القائم على العطف والمحبة .. انه واجب أو لعله رسالة ضخمة وصعبة ومضنية ولكنها نبيلة .

وكانت الهيئات المختلفة تنظم الرحلات لطلاب الجامعات الى المستعمرات الافريقية وبدأت أول رحلة فى عام ١٩٣٥وكتبت صحيفة « العالم البرتغالى » تقول فى هذه المناسبة :

« يجب أن يبقى حيا فى الشعب البرتغالى الحلم بمـــا وراء البحار والشعور بالفخر بالامبراطورية ، ان افريقية بالنســـبة لنا أكثر من أرض نستغلها انهـــا مبرر أولى وسبب فى وجودنا كدولة كبيرة . فبدونها نكون شعبا صغيرا وبامتلاكها فاننا بلد عظيم » .

ومن مظاهر تأكيد الوحدة والتضامن بين البرتغال ومستعمراتها الافريقية الزيارات التى قام بها كبار رجال الدولة ورئيس الجمهورية ففى عام ١٩٣٨ زار الرئيس كارمونا مستعمرة أنجولا ثم توجه الى

موزمبيق بعد ذلك بعام وفى سنة ١٩٥٤ زار الرئيس لوبيز أنجولا ثم موزمبيق فى سنة ١٩٥٦ .

ولم يقتصر أمر الدعاية على أبناء الشعب البرتغالى وانما امتدت الى الخارج فكانت توجه الدعوات الى بعض الكتاب والصحفيين لزيارة المستعمرات حيث يلقون الترحيب والحفاوة ولكن ذوى النظرة الثاقبة النزيهة منهم لم تخف عنهم حقيقة الحياة التعسة التى يعيش فيها الملايين من الافريقيين وانهيار مستواهم المادى والاجتماعى وحرمانهم على الاقل من الاشتراك فى ادارة شئون بلادهم وعاد بعضهم مثل ستيل مراسل الهيرالد تربيون الامريكية وكتب موجها أشد النقد الى السياسة البرتغالية .

نظام الحكم والادارة :

وتبدو الروح الاستعمارية الجديدة فى التشريعات المختلفة التى بدأها القانون الصادر فى عام ١٩٣٠ ونص الأخير على توحيد الادارة فى يد الدولة ووقف السلطات الادارية التى كانت ممنوحة للشركات الخاصة وانهاء نظام المندوبين الساميين وتأميم اقتصاديات المستعمرات ، كما حرم استخدام العمال بوساطة الشركات الخاصة والافراد ، وأكد ضرورة أداء الاجر لهم وكان الغرض الاساسي من القانون القضاء على الاتجاه نحو الاستقلال الداخلى فى الشئون السياسة والاقتصادية ، وأدخلت على القانون تعديلات فى عامى ١٩٣٥ ، ١٩٤٥ ثم أدمج عام ١٩٥١ فى الدستور البرتغالى وأطلق على المستعمرات اسم «اقاليم ما وراء البحار» أو كما جاء فى «المادة ١٣٤ من الدستور البرتغالى» .. « ويطلق على الممتلكات البرتغالية

الواقعة فيما وراء البحار اسم اقاليم ، ويكون لهـــا تنظيم سياسي اداري يتناسب مع موقعها الجغرافى وظروف بيئتها الاجتماعية » .

وتقول المادة ١٣٥ ان « أقاليم ما وراء البحار جزء لا يتجزأ من الدولية البرتغالية وترتبط فيما بينها كما ترتبط بالمتروبول» «..وتنص المادة ١٣٦ على أن التضامن بين أقاليم ما وراء البحار والمتروبول يتضمن بصفة خاصة الالتزام بالمساهمة بالقدر المناسب فى ضمان سلامة الشعب بوجه عام والدفاع عنه » .

السلطة :

ولشبونه هى مركز السلطة الرئيسية والتى تتركز فى هيئات ثلاث ، وهى الجمعية الوطنية ، مجلس الوزراء ، وزارة ما وراء البحـــار .

ويقتصر دور الجمعية الوطنية على اقرار التشريعات التى تعدها الوزارة المختصة ويرفعها مجلس الوزراء . وفى الجمعيـــة وعدد أعضائها ١٢٠ عضوا ثلاثة نواب عن كل من أنجولا وموزمبيق ولكن لاقيمة لهذا التمثيل اذ ليس من الضرورى أن يكونوا من المقيمين بالمستعمرات كما أن الحكومة هى آلتى ترشحهم للانتخابات .

وأهم اختصاصات مجلس الوزراء هى كما يلى : ـــ

١ ـــ وضع التشريع بمرسوم للمستعمرة كلها أو جزء منها .

٢ ـــ الترخيص بعقد القروض وهذا الحق خاص به وحده .

٣ ـــ الموافقة على منح الامتيازات للشركات الاجنبية .

٤ ـــ تعيين الحكام وفصلهم .

٥ — الاشراف على الحيـــاة الاقتصادية عن طريق هيئات خاصة لبعض المحصولات والتجارة الخارجية .

أما وزارة شئون ما وراء البحار فمســـــــئولة عن الموظفين الاداريين والسياسة المتبعة ازاء الوطنيين ورجال البعثات التبشيرية والرقابة وبعض نواح من النظام القضائى والتنظيم العسكرى وبرامج الأعمال العامة .

وللوزير أن يستعين ببعض الهيئات الاستشارية دون الالتزام بالنزول على رأيها ومن هذه الهيئات مجلس ما وراء البحار وهو منظمة دائمة ومؤتمر حكام ما وراء البحار والمؤتمر الاقتصادى لاقاليم ما وراء البحار والاخيران منظمتان مؤقتتان .

والسلطة العليا فى المستعمرة يمثلها حاكم عام ، ويعينه الوزراء بناء على توصية وزير شئون ما وراء البحار لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد ، ويحرم عليه ممارسة أى نشاط اقتصادى فى المستعمرة أو أن يكون له أى اتصال بالشركات العاملة فيها كما لا يجوز له أن يغادر الاقاليم بغير ترخيص من الوزير .

سلطات الحاكم العام :

١ — حماية الأهالى والأجانب وطرد الاشخاص غير المرغوب فيهم وتعيين الموظفين (الذين لا يعينهم الوزير أو أية هيئات مستقلة أخرى) وترقيتهم وفصلهـم والتفتيش من وقت لآخر على مختلف المناطق .

٢ — الاشراف على المصروفات واعداد الميزانية الا أنه يتعرض

للعقاب اذا تجاوز الاعتمادات المقررة . وله أن يمنح الامتيازات فى الأرض والمناجم والاحتكارات التجارية وعقود البناء وحقوق الملاحة والصيد ، وما الى ذلك ، بشرط الا ينطوى ذلك كله على النزول عن حقوق السيادة .

٣ ــ الاشراف على رفع مستوى السكان الوطنيين الروحى والمادى .

ويعاون الحاكم العام ثلاثة من كبار الموظفين يختارهم بنفسه ويكونون مسئولين أمامه وجرت العادة أن يعهد الى كل منهم بالاشراف على نواح معينة من حياة الاقليم ، ففى عام ١٩٥٦ فى موزمبيق عهد الى السكرتير العام (وهو أعلى الثلاثة درجة ومركزا) بالاشراف العام على برامج التعليم والصحة الى جانب الادارة المدنية والبوليس والقضاء . أما السكرتيران الاقليميان فاختص أحدهما بالاعمال العامة والنقل والمواصلات والارصادات الجوية فى حين أن نصيب الثانى مسائل الزراعة والصناعة والمناجم والاحصائيات الاقليمية والتجارة والخدمات البيطرية .

وفى المسائل التشريعية يعاون الحاكم العام (مجلس تشريعى) ذو سلطات استشارية محدودة واذا رفض الحاكم قبول نصيحة المجلس بصدد المسائل التى يتعين أن تناقشها الهيئة فان عليه أن يبلغ الوزير كتابة أسباب الخلاف ، والغرض من انشاء المجلس أن يكون متنفسا لبعض عوامل الشكوى المحلية من جهة واشعار المستوطنين بأنهم يشتركون فى ادارة شئون الاقليم .

ويتكون المجلس فى كل من انجولا وموزمبيق من أغلبية منتخبة

واقلية بالتعيين ويجب أن يكون ثلاثة على الاقل من الاعضاء المعينين من كبار موظفى الادارة ، ويختارهم الحاكم العـــام . اما الباقون فيختار (مجلس الحكومة) أثنين من قائمة يقدمها الحـــاكم الذى يختار بقية الاعضاء .

أما عن الإعضاء المنتخبين فيلاحظ أنهم من غير الافريقيين ويعقد المجلس التشريعي دورتين فى العام مدة كل منهما ثلاثون يوما وتبدأ الدورة الأولى فى أول أبريل والثانية فى أول اكتوبر .

وهناك (مجلس الحكومة) وهو أشبه بوزارة استشـــــارية ويجتمع كلما دعاه الحاكم العام وأهم وظيفة له المعاونة فى اعداد الميزانية السنوية وتتكون هذه الهيئة من : —

السكرتير العام ، السكرتيرين الاقليميين ، القائد العسكرى فى الاقليم ، النائب العام ومدير ادارة الميزانية ، عضوين من المجلس التشريعى يختارهم الحاكم العام .. وتنقسم كل مقاطعة الى مراكز تتدرج فى الصغر ويرأسها موظفون من البرتغاليين وتستعين الادارة البرتغالية بعدد من الموظفين الافريقيين وهم :

١ — البوليس الافريقى وأفراده فى العـــادة ممن خـــدموا فى الجيش .

٢ — المترجمون ولهؤلاء أهميتهم بالنسبة الى رجال الادارة البرتغاليين بسبب معرفتهم باللغات والعادات المختلفة .

٣ — الزعماء وهم يشغلون مناصبهم بحكم الوراثة أو بالانتخاب من جانب قبائلهم أو من الجنود أو الموظفين المحليين الذين

تكافئهم الحكومة على خدمات أدوها باخلاص للمصالح البرتغالية ويطلق عليهم اسم Regulos وتنحصر واجباتهم فى المحافظة على الأمن والنظام والمعاونة فى جباية الضرائب واقناع الاهالى بتنفيذ الالتزام الخاص بالعمل واخطار السلطات البرتغالية بكل مايجرى فى القرى .

تحليل نظام الحكم :

لعل الظاهرة الاساسية التى تسترعى النظر فى نظام الحكم — الذى أوجزنا معالمه فى الصفحات المتقدمة — المركزية العنيفة التى تجعل لشبونة وحدها مصدر جميع السلطات والقرارات الهامة بحيث يقتصر دور الحكام العاملين ومعاونيهم من الموظفين والاجهزة المختلفة على التنفيذ ومثل هذا الوضع يحول دون أى اتجاه نحو الاستقلال الذاتى . ولذلك الاتجاه الذى كانت الاجراءات التى اتخذها سالازار تهدف الى الغائه .

ولا شك أن المركزية من هذا القبيل عقبة فى سبيل التطور السريع السليم ، لان القرارات الخاصة بالمستعمرات تتخذ بعيدا عنها وبوساطة رجال لم تتوافر لهم المعرفة (على الطبيعة) بمشكلاتها واحتياجاتها فضلا على شعورهم بالتفوق العنصرى الذى يجعلهم لايضعون مصالح الوطنيين فى المكان الاول من اعتبارهم وتفكيرهم .

فاذا انتقلنا الى جهاز الحكم فى المستعمرات الفيناه احتكارا للبرتغاليين وحدهم ، أما ابناء البلاد فعبارة عن جيش الايدى العاملة لخدمة المصالح البرتغالية ، وكأن دورهم الحقيقى ان يكونوا عيونا

للادارة البرتغـــالية ومن هنا ينظر اليهم مواطنوهم بعين الريبة ويعدونهم أدوات لدعم الاستعمار الاجنبى ، والمجلس التشريعى ليس الا هيئة استشارية فهو مجرد مظهر أو « لافتة » وحتى مع هذا فانه لايضم احدا من أبناء البلاد الذين مازالوا محرومين من المشاركة فى ادارة شئون بلادهم وهكذا يتضح أن سياسة البرتغال تهدف الى منع تطور الافريقيين صوب الحكم الذاتى ثم الاستقلال ، وهما الهدف الذى تزعم الدول الاستعمارية أنها تسعى الى تحقيقه كالجزء الرئيسي من رسالتها التمدينية .

الادماج :

ان معظم التشريعات الخاصة بالافريقيين استمرار وامتداد للقانون الصادر فى عـــام ١٩٢٦ الذى ســـيطرت عليه فكرتان اساسيتان : أولاهما ضمان الحقوق الطبيعية وغير المشروطة للوطن الذى عهد الى البرتغاليين بالوصاية عليه. .وضمان التنفيذ التدريجى من جانبه لالتزاماته الادبية والقـــانونية بأن يعمل ويتعلم ويرفع مستواه والفكرة الاخرى هى السير بالوطنيين بوســـائل تناسب حضارتهم البدائية بحيث يكون التحول من تقاليدهم وعاداتهم رفيقا ومندرجا الى التنمية المجزية لنواحى نشاطهم واندماجهم فى حياة المستعمرة التى هى امتداد للوطن الأم .

ان الوطنيين بسبب نقص التطبيق العلمى لايمنحون الحقوق المرتبطة بأنظمة البرتغال الدستورية .

ثم حل محل قانون عام ١٩٢٦ مرسوم بقانون فى عام ١٩٢٩ وهذا التشريع والمبادىء العامة الواردة فى قانون ادارة المستعمرات

الصادر فى عام ١٩٣٠ ، والقوانين الصادرة فى عام ١٩٣٣ لاصلاح الادارة فى أقاليم ماوراء البحار ، كل هذا حدد سياسة البرتغال حتى أوائل الخمسينات وهذه المبادىء هى : —

١ — ادماج الوطنيين فى الشعب البرتغالى ولكن يجب متابعة تحقيق هـذا الهدف بحكمة لان للوطنيين ثقافتهم وتنظيمهم الاجتماعى وقانونهم وكل ذلك يجب احترامه والابقاء عليه .

٢ — التزام الدولة بحماية الافريقى فى حالته البدائية ضد مساوى المستوطنين وحماية ملكيته والاشراف على عقود العمل مع غير الوطنيين .

٣ — يتم الاندماج عن طريق اللغة البرتغالية والتعلم والتدريب والديانة المسيحية فاذا وصل الافريقى الى مرحلة متحضرة منحته الامتيازات القانونية تماما كالمواطنين البرتغاليين .

هذه هى عناصر السياسة التى تهدف الى خلق طبقة من المندمجين ولكن سياسة الادماج ظلت مجرد حلم بسبب القيود المفروضة على العمل وفقر البرتغال وتأخر المستعمرات ونقص التسهيلات التعليمية والصحية وكانت الشروط التى لابد من توافرها فى الافريقى حتى يتسنى قبوله فى المجتمع البرتغالى : —

١ — ألا تقل سنه عن الثانية عشرة .

٢ — أن يكون قادرا على الحديث باللغة البرتغالية .

٣ — أن يكسب دخلا كافيا له ولاسرته .

٤ — أن يكون حسن الخلق ويملك الصفات اللازمة لممارسة الحقوق العامة والخاصة للمواطن البرتغالى .

٥ ـ ويجب الا يكون قد تهرب من الخدمة العسكرية أو اعتبر هاربا منها . وهذه الشكليات يمكن التجاوز عنها . اذا اثبت أنه قام بعمل عام أو انه يزاول احدى الوظائف الادارية أو أنه حصل على التعليم القانونى أو أنه تاجر مرخص له بمزاولة التجارة أو انه شريك فى شركة أو يملك منشأة صناعية (المواد ٥٦ ـ ٦٤ من المرسوم بقانون رقم ٣٩٦٦٦) .

هذا الاندماج المشروط لم يحقق سوى القدر اليسير من النجاح اذ على حسب احصاء عام ١٩٥٠ لم يزد عدد المندمجين فى أنجولا عن ٣٠٫٠٨٩ من مجموع السكان البالغ أربعة ملايين نسمة ، ولم يتجاوز ٤٣٥٣ فى موزمبيق التى بلغ عدد أهلها ٥٧٣٣٠٠ نسمة . ومعنى هذا أن النظام لم يمس خلال ٢٥ سنة الا اقل من نصف فى المائة من الافريقيين وليس فيه مايحمد عليه اللهم الا اذا كان الغرض منه ابقاء الاغلبية الساحقة فى حالة انحطاط وفضلا على هذا فتقسيم الافريقيين الى وطنيين وغير وطنيين معناه التفرقة العنصرية وانعدام المساواة ولم يكن هذا النظام مشجعا للافريقيين الذين كانوا يرفضون طلب « بطاقة » الشخصية وعلى ضوء النتائج التى تحققت لابد من انقضاء قرون عدة حتى يتم الاندماج الكلى .

الاندماج الكامل :

ولهذا قررت البرتغال السير فى اتجاه جديد هو (الادماج الكامل) وكانت الخطوة الأولى الغاء لفظ (مستعمرات) واستخدام عبارة (أقاليم ما وراء البحار) ونص القانون الاساسي لعام ١٩٣٥

على امكانية انشاء مجلس بلدى فى كل جهة بها أغلبية من الافريقيين (المتحضرين) وغير المندمجين ، ويدافع البرتغاليون عن أنفسهم بقولهم أن سياستهم تخالف السياسة التى سارت عليها الدول الاستعمارية الأخرى من ناحيتين أولاهما التزاوج بين البيض والافريقيين والأخرى انتفاء حاجز اللون وبلغ عدد المولدين فى أنجولا وموزمبيق ٢٥٫٠٠٠ على حسب احصاء سنة ١٩٥٠ وان كان العدد يتجاوز هذا الرقم وطبقا للقانون يعتبر الأطفال الذين أحد والديهم برتغالى ويرغب فى الاعتراف بهم مواطنين برتغاليين . والحقيقة أن الآباء البرتغاليين يرفضون مثل هذا الاعتراف فى معظم الحالات ، وانما يتخذون من النساء الافريقيات مجرد محظيات لاشباع شهواتهم ولقد ثار الضمير العالمى حين تكشف أن فتيات المدارس فى موزمبيق كن يؤخذن محظيات للحكام والموظفين البرتغاليين بعض الوقت فكأن الدعارة الشاذة من هذا القبيل أسلوب تعترف به الحضارة البرتغالية .

وكان البرتغاليون يعتقدون أن فى الوسع الاعتماد على المولدين فى دوام سيطرتهم على البلاد ولكن الاخرين سرعان ما أدركوا عمليا أن سبيل التقدم والارتقاء مسدود فى وجوههم ، أما الزعم بعدم تطبيق سياسة التمييز العنصرى كما هو الشأن فى اتحاد جنوبى افريقية فمما ينبغى أن نأخذه بالحذر الشديد . فالقوانين السائدة ونظم التعليم ومعدلات الاجور كلها قائمة على فكرة انعدام المساواة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية .

وحتى بفرض صحة وجود هذين الامرين أى الزواج المختلط وانتفاء الحاجز اللونى ، فهل يصلحان لخلق الاحوال الصالحة لتحقيق

الاندماج ؟ وهل يمكن أن يعوضا النقص فى التعليم وعدم المساواة فى الفرص الاقتصادية وسياسة السيطرة وأسلوب السخرة ؟ وهل تقنع الافريقى بالاقتصار على توريد الايدى العاملة للاوربيين ؟ الجواب بالنفى على وجه التأكيد ، لانه لا يريد أن يفقد شخصيته ويريد أن يكون مواطنا فى بلده دون أن يصبح نسخة هزيلة من الرجل البرتغالى .

الاندماج الكامل وكيفية تحقيقه :

اتخذت البرتغال عدة وسائل لتحقيق سياسة الاندماج الكامل منها : —

١ — أن القانون المعترف به فى أنجولا وموزمبيق هو القانون العام البرتغالى أى القانون المدنى والجنائى السائد فى البرتغال نفسها وحاولت السلطات التوفيق بين التقاليد القضائية عند الافريقيين والقانون البرتغالى .

وفى القضايا المدنية التى يشتبك فيها أفريقى وأوروبى يطبق القانون العام البرتغالى كما يطبق القانون الجنائى البرتغالى فى جميع قضايا الجنايات .

وتنقسم المحاكم الى نوعين أحدهما المحاكم العادية التى يرأسها احد موظفى الادارة وتنظر فى معظم قضايا الافريقيين وهناك المحاكم الخاصة وتنظر القضايا الأكثر خطورة وتقوم بدور محاكم الاستئناف . أما الاستئناف النهائى فانه يرفع الى المحكمة العليا فى لشبونة .

٢ ــ وتفرض الادارة البرتغاليةرقابة صارمة علىالسكان الافريقيين عن طريق قوانين العمل فاشترط أن يحمـــل كل منهم بطاقة تحقيق شخصيته وكذلك عنطريق المخبرين الافريقيينوالزعماء الموالين لها . والرقابة على المطبوعات ومراقبة الحدود لمنع الهرب أو تسرب عناصر أجنبية وأساليب العنف فى معاملة السكان وكذلك الاشراف الدقيق على نظام التعليم لمنع قيام حركات وطنية يمكن أن تثير المعارضة ضد الاستعمار وأحيانا يمنع الافريقيون الذين تلقوا العلم فى البرتغال من العودة الى بلادهم ، كما يسجن كل من يشتبه في نزعاته الوطنية . ففى سنة ١٩٤٨ مثلا حدث شغب بسيط فى بورترو مركيز فى موزمبيق أسفر عن القبض على مائتى شخص أرسل أغلبهم الى جزيرة ساو تومیه أما الجرائم الاقل أهمية والتى ليس لها طابع سياسي فعقوبتها العمل التأديبى أو العقاب البدنى أو كلاهما .

ولكن أهم طريقة للاشراف على تحركات الوطنيين فعبارة عن البطاقة التى تتضمن سجل الضرائب والعمل بالنسبة الى الذكور الافريقيين وأسماء زوجاتهم وأطفالهم والصورالفوتوغرافية وبصمات الاصابع وعلى الافريقى أن يبرز بطاقته لموظفى الادارة عند طلبها . وتحارب الســــــلطات الجمعيات والهيئات حتى ولو كانت تعاونية أو ثقافية .

الأرض :

أما عن سياسة البرتغال التى اتبعتهـــــا ازاء الارض فهى

سياسة استعمارية هي الأخرى ، وقد صدرت لذلك مراسيم وقوانين متلاحقة ، ففي سنة ١٩٠١ تقرر اعتبار جميع الاراضي غير المملوكة ملكية خاصة ملكا للدولة . ثم تقرر حجز مساحات كبيرة للافريقيين وحدهم ولا يجوز نزعها منهم وهذا هو (نظام المعازل) المتبع فى اتحاد جنوبى افريقية وروديسيا الجنوبية والمنبثق من فلسفة التفرقة العنصرية مما يدحض مزاعم البرتغاليين عن المساواة ، وحتى هذه المعازل عرضة للاعتداء عليها من جانب البيض وخارج المعازل لا يمكن للافريقى أن يشغل الارض الفضاء ويجوز اخراجه منها مقابل تعويضه بمنحه قطعة أرض مساوية وهى فى العادة من أراضي المعازل . واذا اختار أن يحكمه القانون العام البرتغالى فيجوز أن تكون له حقوق حقيقية بشأن الميراث والبيع بالنسبة الى الارض التى يشغلها والتى ليست له فيها حقوق فردية وتنص المادة ٣٧ من قانون سنة ١٩٣٥ على أن الوطنيين الذين يقيمون فى منظمات قبلية يضمن لهم بالاشتراك استخدام وتنمية الأراضي اللازمة لقراهم ومحصولاتهم ورعى ماشيتهم وذلك على حسب الاسلوب التقليدى .

وكثيرا ما اعتدى المستوطنون على الاراضي المخصصة للافريقين كما حدث فى شمال شرقى أنجولا لمصلحة مزارع البن وفى موزمبيق من أجل مزارع قصب السكر . والعجيب فى الأمر أن البيض كانوا ينتقدون سياسة حجز مساحات معينة لأهل البلاد الاصليين لان معنى هذا اغلاقها فى وجه الاستيطان والاستغلال من جانب راس المال الاجنبى .

وكان من سياسة البرتغال اقامة قرى تضم اغلبية من الفلاحين

البرتغاليين وأقلية من الأسر الافريقية بحجة تطوير حيـــاة الاخيرة تحت اشراف الاولين وفى ظل توجيههم .

التبشير :

ومن العناصر الرئيسية فى تحقيـــــــق سياسة الاستعمار البرتغالى الجديدة بعثات التبشير وفى هذا تقول المادة ١٤٠ من الدستور البرتغالى :

« ان بعثات التبشير الكاثوليكية البرتغالية فيما وراء البحار والمؤسسات التى تقوم باعداد الاشخاص اللازمين لاداء هذهالخدمة سوف تحميها الدولة وتعاونها بوصفها منظمات للتثقيف وتقــديم المساعدات لنشر المدنية » .

وقد صدر قانون الارساليات عام ١٩٤١ الذى حدد وظائف الكنيسة بأنها انشاء وادارة المدارس للطلاب الاوربيين والافريقيين وكذلك دور العلاج والمستشفيات .

التعليم :

وتتطلب سياسة الادماج أداة قوية لتحقيقها ومن هذه الادوات (التعليم) فهم يحرصون على تعليم الاطفال الافريقيين اللغـــــة البرتغالية وتاريخ البرتغال وحضارتها وأمجادها فضلا على فلسفة الديكتاتور سالازار عن الايمان والعمل والأسرة وفصل الافريقى عن عالمه القبلى ، ولكن هناك صعابا فى وجه الافريقى منهـــا ضرورة اتقان لغة أجنبية والقيود المتعلقة بسن الالتحـــاق بالمدرسة وعدم

توافر الاماكن فى المدارس ولذلك كانت الأمية فى صفوف الافريقيين ٩٩ ٪ على حسب احصائيات ١٩٥٠ .

وهناك عدة شروط تعسفية للتعليم للافريقين منها ما يلى : —

* لايدخل المدارس الاولية الأميرية فى موزمبيق الا المندمجون ولهذا ففى سنة ١٩٥٤ كان هناك ٧٦٣٤ طالبا منهم ٣٢٢ افريقيا فقط .

* الاولوية فى انجولا للاطفال البرتغاليين .

* أقصي سن للالتحاق بمدرسة الليسيه العالية (لمدة سبع سنوات بعد المدرسة الابتدائية) ١٣ سنة حين لا يكون الطفل الافريقى قد أتم المرحلة الاولية . وعدد الطلاب الأفريقيين فى المدارس العالية لايذكر فيما عدا المدارس الفنية والمهنية لانها مخصصة أساسا للافريقيين .

واذا نظرنا الى سياسة التعـــليم التى تتبعها البرتغال فى مستعمراتها نجد أنها لاتقوم على سياسة معينة لنشر التعليم العام كما أن النسبة الغالبة من المدارس أولية وابتدائية وهى تشبه نظام الكتاتيب التى كانت تنتشر فى الريف المصرى قديمـــا والمستوى التعليمى فيها منخفض للغاية . كما يلاحظ ضــآلة عدد الافريقيين بالمدارس العالية وذلك بقصد الحيلولة دون نشوء طبقة على جانب كبير من الثقافة خشية أن تتولى قيادة الشعب ضد الاستعمار .

أما من ناحية الصحة فبالرغم من شدة حاجة الإفريقيين الى العناية الصحية فان هذه الناحية موضع الاهمال الشديد . ففى المدن أقامت الحكومة والشركات الكبيرة مستشفيات لموظفيها ، ولكنا نجد فيها مبدأ التفرقة العنصرية مطبقا اذ فيها عنابر للبيض وأخرى للافريقيين وفى داخلية البلاد أنشأت الحـــكومة وحدات علاجية للأمراض العادية والاصابات البسيطة .

الرق والتفرقة العنصرية

فى كل محطة أتوبيس .. فى كل محطة للسكك الحديدية .. وفى كل مطار .. وفى الاماكن العامة .. فى البنوك .. فى حلبات السباق ..فى الملاعب على الشواطىء.. وحتى فى المطاعم نجد أماكن مخصصة للبيض.. وأخرى مخصصة للسود .. وفى كل مكان تجد اللافتات .. للاوربيين فقط .. للسود فقط أو ممنوع السود والكلاب .

الرق والتفرقة العنصرية

أن مأساة السود فى المستعمرات البرتغالية لاتكاد تماثلها فى بشاعتها أية مأساة انسانية عرفهـــا تاريخ البشرية . يزيد من بشاعتها أن أولئك الــــذين يتعرضون لها هم أصحاب البـــلاد الشرعيون .. وان الذين يفرضون عليهم مأساتهـم تلك التى لم يعرف لها تاريخ البشرية مثيلا ، هم قلة من اللصوص ينهبون خيرات البلاد الكثيرة ويستمتعون بثرواتها الطائلة .

ولقد أصبح الحديث عن المستعمرات البرتغـــالية فى افريقية يسوق على الفور الى الحديث عن بشاعة تلك المأساة المثلة فى التفرقة العنصرية المقيتة المهينة التى يمارسها البيض فى هذه البلاد ضد أصحاب البلاد الشرعيين والتى لا يحاولون حتى مجرد الادعاء بأنهم فى سبيل القضاء عليها بل انهم يعترفون بها فى صفاقة وليس ادل على ذلك من قوانينهم التى تفرق بين المستوطنين وبين الوطنيين أصحاب البلاد .. انهم يؤكدون أنهم سيمضون فى ممارستها الى أبعد الحدود التى يمكن تصورها .. ومن ثم تبرز المأساة فى صورة تحد سافر من الرجل الابيض اللص مصـــاص الدماء .. للجنس الاسود الذى بدأ يحقق لنفسه مكانه فى القـــارة الناهضة وفى السياسة الدولية .

والحق أن التفرقة العنصرية التى يمارسها البيض ضد السود فى المستعمرات البرتغالية تؤكد أن هؤلاء الـــــذين يمثلون احفاد القراصنة البيض الذين سرقوا جزءا من أفريقية من أبنائه لن تصلح معهم تلك الاساليب التى تعود الافريقيون أن يواجهوا بها غاصبيهم فى أقطار أخرى كثيرة من القارة وأن العنف وحده .. هو الكفيل بأن يعيد الحقوق الى أصحابها وان حربا شاملة لاتبقى ولا تذر هى وحدها التى ستفرض ارادة أبنـــــاء القارة ، ذلك لأن البيـــــض البرتغاليين قد مضوا فى ممارسة سياستهم المهينة الى أبعد الحدود بحيث لا يمكن أن نتصور امكان تراجعهم عنها الا بالقوة والقهر ومن ثم فان القرارات التى اتخذها مؤتمر « أديس ابابا » ـــ سوف تكون عاملا حاسما فى انهاء هذه المأساة الانسانية التى دامت أكثر من خمسمائة سنة والتى آن لها أن تنتهى ولو بالقوة . ان من المستحيل أن تقضي بضعة أيام فى أنجولا أو موزمبيق دون أن تشهد فى كل قطعة تلك التفرقة البشعة بين الابيض والاسود هناك فى صورة فيها كثير من الاصرار والتحدى والاستفزاز .

وكتبت السيدة / جويندولن م . كارتر الاستاذة بجامعات أمريكافى كتابها«الاستقلال لافريقية» وقد كتبته على اثر عدة رحلات الى القارة الافريقية كتبت تقول : « لقد مضي بعض الوقت قبل أن أدرك طبيعة الاحساس الغريب الذى أحسست به ، وأنا فى قاعة الطعام بفندق لواند المريح . كان الطعـــــام شهيا والخدمة ممتازة وأخيرا تبينت لماذا لم أكن أحس بأننى فى افريقية لم أر وجهــــــا أسود واحدا حتى أوانى الطعام التى وضعت أمامى حملها خادم أبيض ، ولم أحس من قبل بأننى فى منطقة أوربية معزولة عن القارة

مثلما احسست بذلك فى هذا المكان من أنجولا البرتغالية . ولم يكن فى الفندق الذى نزلت فيه أى أفريقى وحتى الخدم والبوابون كانوا من البرتغاليين وفى المنطقة المسطحة القريبة منلواندا توجد مزارع برتغالية صغيرة بها منازل بيضاء أنيقة تحيط بها أشجار الفاكهة الى جانب مزارع النخيلوقصب السكر الشاسعة ، وشاهدتأعمال البناء تجرى على قدم وساق فوق الهضبة وفى (سيلا) بوجه خاص قد دفع الافريقيون دفعا الى ما وراء الجبال الجرانيتية التى ترتفع فوق السهل الاجرد فى الوقت الذى شيدت فيه المساكن الجبلية فى نظام هندسي بديع أعدت لسكنى المستوطنين الجدد .

والافريقيون محرومون تماما من تحمل أية مسئولية فى ادارة بلادهم واذا وقعت احدى الجرائم البسيطة فى قرية من القرى ظلت بلا عقاب حتى يفصل فيها رجل أبيض أو قسيس محلى أو لجنة واذا كانت الجريمة خطيرة تولى الفصل فيهـــــا المسئول البرتغالى . والبرتغال تتظاهر بأنها لا تعرف التفرقة العنصرية ومع ذلك تفرض على الافريقيين فى مستعمراتها أقسي أنواع السيطرة ، فالافريقيون محرومون بحكم القانون مندخول المبانىالعامة والفنادق ويسمح لهم بالسفر بالدرجة الثانية وتناول الطعام بالمحال العامة ولكن بشرط أن يرتدى الافريقي ملابس جيدة تتكون من حلة ورباط « وياقة » ويلبس حذاء نظيفا وان ترتدى الافريقية فستانا وأن تكون سافرة الوجه .

ويبذل البرتغـــــاليون كل مافى وسعهم لمنع الافريقيين من السيطرة علىأنجولا ويساعدهم فى ذلك أمران ، الاول : أن البرتغال بلد ديكتاتورى لا يسمح بالنقد أو ظهور المعارضـــــة بأية حال من

الاحوال . والثانى : انه لايسمح لغير الافريقيين البرتغاليين بالتمتع بأى حقوق مدنية ، وتحول الافريقى الى برتغالى مسألة صعبة لانه يتطلب اجادة اللغة البرتغالية واستيعاب جميع العادات والتقاليد البرتغالية وهذا مستحيل بفضل العقبات التى تضعهـــا الادارة البرتغالية فى وجه الافريقيين » (انتهى) .

ومن مظاهر التفرقة العنصرية البشعة نجد أنه فى كل محطة اتوبيس وفى كل محطة للسكك الحديدية وفى كل قطار وأتوبيس وفى كل مطار وفى الأمكنة العـــامة فى البنوك .. فى حلبات السباق .. فى الملاعب .. على الشواطىء .. فى المطاعم وحتى فى المرافق فى كل هذه الامكنة نجد أماكن مخصصة للبيض .. وأخرى مخصصة للسود ، وفى كل مكان تجد مثل هذه اللافتات « للأوروبيين فقط » أو« للسود فقط » أو (ممنوع دخول السود والكلاب) وسوف تحس تماما أن الحياة الاقتصادية والسياسية قائمة على أساس هذه التفرقة المقيتة ، فهناك محال خاصة بالبيض وأخرى مخصصة للسود وهناك أحياء خاصة بالبيض وأخرى بالسود .. وليس هناك حزب أو جماعة من البيض البرتغاليين الا وتتسابق فى مجـــال فريد من التفرقة العنصرية حتى الكنيسة هناك تبارك التفرقة وتدعو اليها .

والحق أن البرتغاليين كانوا من الغبـــاء والحماقة بحيث لم يتصوروا امكان مجىء يوم يواجهون فيه نتائج مازرعته أيديهم خلال فترة استعمارهم الطويلة ولو أننا قارنا مثـــلا بينهم وبين بعض الاجناس البيضاء التى استعمرت مناطق أمريكا اللاتينية وامتزجت ـ أن راضية أو تحت ضغط الظروف ـ بالاغلبية السوداء التى نشأت هناك ، قادمة من افريقية (كالبرازيل مثلا) لو أننا عقدنا مثل هذه

المقارنة لادركنا مدى الخطــــأ الذى وقع فيه البرتغـــاليون فى مستعمراتهم الافريقية عندما اصروا على متابعة ممارستهم (للعزل) الاجتماعى بينهم وبين الاغلبية السوداء ، فقد أدى هـــذا العزل الاجتماعى على مر السنين الى (انفصال شبكى) تام ــ ان صح هذا التعبير ــ بين أقلية بيضاء حاكمة وبين أغلبيةسوداء محكومة .. ولقد أدى هذا الانفصال بدوره الى كثير من المضاعفات كلها ليست فى مصلحة البرتغاليين لعدة أسباب أهمها أن الصلة انقطعت تماما بين البرتغاليين البيض وبين البرتغال الأم . لقد وضع البرتغاليون نصب أعينهم منذ أول يوم استقرت فيه أقدامهم فى أرض افريقية أن تكون جنوبى أفريقية الوطن الوحيد لهم ، وكان من الضرورى حين ذاك أن يوطدوا أواصر العلاقة مع الســكان الاصليين السود وأن يسمحوا ولو بالتدريج بشيء من الامتزاج الاجتماعى معهم تمــاما كما حدث فى بعض بلدان أمريكا اللاتينية ولكنهــم أصروا على أن يفصلوا بين الجنسين الابيض والاسود وأن يقيموا ســورا عاليا بينهما .. ولقد كان من الغباء حقا أن يظنوا أن القوة ستظل الى الأبد بين أيديهم وأن الظروف سوف تظل دائما أبدا فى خــدمتهم لمتابعة استغلالهم وسرقتهم لارض تملكها أغلبية كانت مغلوبة على أمرها ولكنها بدأت تتحرر على الاوضاع التى ظلت ترزح تحتهــا مئات السنين مع انطلاقة القارة فى الستينات من هذا القرن .

لقد أدى الاصرار الاعمى من جانب الاقلية البرتغــالية فى افريقية على انتهاج هذه السياسة الخرقاء الى اتساع الهوة بينهم وبين الافريقيين بحيث لم يعد فى وسع البيض أنفسهم أن يتراجعوا بسهولة عن مواقفهم التى حققوها لانفسهم بالقوة والقهر .. كما

لم يعد فى وسع الاغلبية السوداء أن تنسي وأن تتسامح اذا وصلت الامور فى يوم من الايام الى حد المواجهة المباشرة الصريحة وليس ادل على ذلك من ثورة أنجولا العارمة وفى هذا الصدد يقول الزعيم الافريقى الدكتور « لوثولى » : **ان أخشي ما اخشاه أن يكون البيض هنا فى افريقية قد قطعوا كل الجسور التى يمكن أن يعبروها للتفاهم مع الاغلبية السوداء .. ليعيش الجميع فى سلام .**

بالرغم من ذلك أمعن البيض البرتغاليون فى سياستهم العمياء بحجة الحفاظ على آخر أمل لهم فى الحياة .. لان عددا كبيرا منهم لايفكر فى العودة ، لان ما بينهم وبين البرتغال قد انقطع منذ زمن بعيد ولان البرتغال نفسها — وهى البلد الصغير الكثيف السكان الذى فقد كل مالة من مستعمرات فى آسيا — ليس على استعداد لتقبل العائلات العائدة متى فكروا فى العودة .

لقد كان ذلك حريا بأن يدفع البرتغاليين فى المستعمرات البرتغالية فى افريقية الى نبذ سياستهم التقليدبة العمياء والى أن يحاولوا اقامة نوع من المجتمع الذى تذوب فيه الفوارق التى أقاموها هم بأنفسهم والى أن يحاولوا ارساء دعائم تعايش سلمى بين البيض والسود . ولكن الذى حدث هو العكس فقد امعنوا فى هذه السياسة الحمقاء بحجة أنهم اذا أتاحوا مثل هذا المجتمع فان الحكم والسيطرة سينتقلان بالضرورة الى ايدى الاغلبية السوداء التى تتكاثر باستمرار برغم سوء أحوالها المعيشية والصحية فى حين يظل معدل زيادة البيض كما هو .. وهذه (العقدة) الاخيرة عقدة التزايد المطرد للسود فى افريقية هى التى تحدد سياسة البرتغاليين هناك فى خط كان من المنطق أن يكون اتجاهه هو العكس

تماما فالعجيب فى هذا الصدد أنه بينما يدرك البرتغاليون ادراكا تاما أن الزمن فى مصلحة السود .. وأنه حتى لو سارت الامور سيرها العادى دون اعتبار للمؤثرات الخارجية ، فان زيادة السود المستمرة سوف تؤدى حتما الى قلب ميزان القوى والسيطرة فى المستعمرات.فى حين يدرك البرتغاليون ذلك تماما فانهم يتصرفون عكس ما كان ينتظر منهم فى مثل هذه الحالة .. فهم يتفننون كل يوم فى مجال الجديد والمزيد من أساليب التحكم والسيطرة والتفرقة وهم يمعنون فى استفزازهم للسود بطريقة تجعل التفاهم فيما بعد شيئا مستحيلا .

ولو أننا عقدنا مقارنة بين وضع السود فى الولايات المتحدة الامريكية مثلا وبين وضعهم فى المستعمرات البرتغالية لوجدنا فى الحالة الاولى أنه لايزال هناك مزيد من الامل فى امكان تحسين حالة السود على الاقل ، ونحن نجد أن سلطات الدولة العليا تفعل شيئا ما من جانبها لتخفيف حدة العنصرية البيضاء فى بعض الولايات وتجد أنها تتدخل بالفعل فى كثير من الاحيان بأجهزة الدولة العليا.. من القضاء الى القوة المسلحة .. ومن ثم تبدو فكرة التعايش السلمى بين الجنسين الابيض والاسود ممكنة ويبدو الامل لدى السود فى امكان الوصول الى تفاهم مع البيض .. ولو بمرور الوقت .. أما فى حالة المستعمرات البرتغالية وفى جنوبى افريقية فانه لايكاد يبدو اى أمل فى مثل هذا التفاهم .. لان الدولة نفسها وليس الافراد فحسب هى التى تدعو الى مزيد من التفرقة .. والى مزيد من اساليب القهر والضغط والاضطهاد للسود .. بل انها تمارس ذلك كله بقوة القانون .. فالسود لايستطيعون التنقل بحرية من

مكان الى مكان الا بتصريحات خاصة للمرور ، قد تزيد بالنسبة للشخص الواحد فى بعض الحالات الى أكثر من ثمانية أو تسعة تصريحات .. حتى النساء السوداوات بدأت السلطات البرتغالية تجبرهن على حمل مثل هذه التصريحات .

وفى كل عام .. يلقى البوليس القبض على أكثر من نصف مليون أسود لمخالفتهم نظام تصريحات المرور والانتقال .. واكثر من خمسين فى المائة من القضايا التى يحاكم من أجلها السود للسبب نفسه وهى قضايا لايتعرض لمثلها البيض على الاطلاق .. وليس هناك فى الدنيا كلها قانون لدولة من الدول تجد فى كل بند فيه جانبا خاصا بالبيض وآخر خاصا بالسود . وليس فى الدنيا كلها دولة تحرم ملكية الارض (الا فى أماكن معزولة جرداء) على جانب من السكان دون الآخر وتستأثر الاقلية بـ ٧٨٪ من مساحة الارض الجيدة فى حين يترك للأغلبية ١٣ ٪ .

وليس فى الدنيا كلها بلد يتساقط سكانه كالذباب من الجوع فى الوقت الذى تفيض فيه ثروات البلد عن حاجة السكان ، وكذلك ليس فى الدنيا كلها دولة تفرض التفرقة العنصرية وحواجز اللون حتى فى ميادين الرياضة ، والتى لاتسمح بعرض الافلام الرياضية اذا كان أحد المتبارين أسود اللون أو اذا كانت تعرض مباريات يشترك فيها بيض مع سود .. والمهم أن ذلك كله يتم بقوة القانون .. أى أن هناك قوانين فى الدولة تفرض ذلك كله .

كما أن دولة البيض فى المستعمرات البرتغالية تجبر فى الوقت نفسه الافريقيين السود أصحاب البلاد الاصليين على أن يعيشوا فى أماكن أو (منازل) خاصة بهم ، ناهيك بما يتعرض له

السود هناك من ارهاب وعسف دائم متصل ومن احتقار وامتهان لمشاعرهم الانسانية ومن حكم بوليسي ارهابى لم يعرف له التاريخ مثيلا من قبل وقد أدى كل ذلك الى (حرق الجسور) التى يمكن ان تعبر عليها كل محاولة للتوفيق والتفاهم أو التعايش السلمى .

وأكبر الظن أن الاوضاع فى تلك المستعمرات لن تعرف الحل الوسط وأن مصير البيض هناك سوف تحدده فى المحل الاول ثورة افريقية مسلحة تماما كما يجرى الآن بالنسبة لانجولا وموزمبيق حيث حمل الافريقيون السلاح لكى يقرروا مصير استعمار عاش زمنا طويلا .. وأكبر الظن أيضا أن حركات التحرر الافريقية وأن التعاون الافريقى الشامل فى ميدان العمل الجدى المسلح لتصفية آخر الجيوش الاستعمارية فى القارة الافريقية ، ينبغى أن تكون شاملة لكل هذه الجيوب التى تركزت فى جنوبى القارة الافريقية السوداء فى أنجولا وموزمبيق أو فى الروديسيات أو فى جنوبى أفريقية وأن البيض فى هذه البقعة من القارة سيلاقون أسوأ مصير شهده مستعمر على وجه الارض ، وحين نمعن النظر فى قرارات مؤتمر القمة الاخير الذى عقد فى (أديس أبابا) وسوف نتعرض له فى الفصول القادمة نحس احساسا عميقا ان النهاية قريبة بل ربما تكون أقرب مما يتصور الكثيرون .. نهاية الصنف الابيض والغرور الابيض فى آخر معقل له فى القارة الافريقية ، الرجل الذى ظل ينهب خيرات هذا الجزء مدة طويلة من الزمن ويستعبد أهله ويستذلهم ويحاول اليوم أن يؤخر نهايته فى أسلوب يائس وصل الى حد التفكير فى صنع القنبلة الذرية .. ولكن حتى القنبلة الذرية لن تمنع الرجل الابيض عن مصيره الاسود فى القارة الناهضة .

الـرق :

ظلت أوروبا طوال القرون الماضية تنعى على الاســـلا
لانه فى نشأته وتحت ظروف اجتماعية قاهرة أباح رق الحـــرب
ونسيت ملابسـات القضية وتجاهلت حدود الاجازة وأخذت تعـــزف
على قيثارة الاسلام والرق فى ميدان الجدل والعقائد والدراسات
الدينية ، وفى رحاب التاريخ لم يتورع كتابها عن اســـتغلال أحداث
وقعت على نحو ضيق ليرسموا صورة أسطورة مؤثرة عن تجـــار
الرقيق من العـــرب بل ان أوروبا بررت استعمارها لبعض من دول
افريقية بأنها جاءت تنشر المدنية وتحمى الافريقى من أن يكـــون
سلعة تباع وتشترى .

أما الحقيقة التاريخية التى لم تدرس بعد على نحو علمى
مفصل فهى أن أوروبا جاءت الى افريقية بحثا عن العبيد فبعد أن
وسعت فتحا فى أمريكا واستأصلت شأفة سكانها من الهنود ، كان
عليها لكى تستثمرها أن تبحث عن أيد عاملة رخيصة تفلح أرض
العالم الجديد لحسابها بلا أجر فكانت افريقية اقرب القارات اليها
فى مصدر الايدى ، وهكذا بدأ تسابق الدول الاوربية نحو صـــيد
الافريقيين وشحنهم الى أمريكا فى ظروف غير انســانية وتعسة على
واخر اصطلح على تسميتها (بواخر الموت) لكثرة من كـــانوا
شحنون عليها وللعدد الهائل الذى كان يبتلعه المحيط فى الطريق
هى عملية تكون أسود نقطة فى تاريخ الانسانية دون استثناء ،
كان هؤلاء الافريقيون يعملون فى ظروف صعبة قاسية وتحت ظروف
اجتماعية عسيرة يواجهون الموت والجوع والامراض وآفات وأوبئة
العالم الجديد مجردين من أى سلاح أو رقابة ولقد بلغ عدد من

نقل – مثلا – الى جمهورية الدومينيكان وهى دولة صغيرة فى المساحة والعدد أكثر من ٢٫٢٠٠٫٠٠٠ عبد افريقى على امتداد خمسين عاما وفى عام ١٧٦٤ لم يكن قد بقى منهم على قيد الحياة غير ٦٠٠ الف واستمرت هذه التجارة من القرن السادس عشر حتى التاسع عشر وشارك فيها الهولنديون والاسبان والفرنسيون والبرتغاليون ولكن كل ماتاجر به هؤلاء لايعد شيئا بجوار ماتاجرت به بريطانيا نفسها ، اذ أن كل باخرة كانت تحمل رقيقا لحساب واحدة أو مجموعة من هذه الدول كانت تقابلها أربع بواخر تحمل دقيقا لحساب بريطانيا . وبينما كان النبلاء الانجليز يجنون ثرواتهم بدم وعظام الارقاء من افريقية كانت القارة نفسها تواجه أفدح كارثة فى تاريخها فان قرى بأكملها مزقت وقبائل بأجمعها اختفت ويقدر عدد من خسرتهم افريقية فى هذه العملية المخولة بستين مليونا على حين يرى كثير من العلماء أن الرقم يصل الى ١٥٠ مليونا على أساس أن كل افريقى وصل أمريكا كان يموت مقابله خمسة فى الطريق أو فى افريقية نفسها .

والثابت أن عدد الرقيق الذى أرسل الى العالم الجديد لايقل عن ثلاثين مليونا ولقد مزقت عملية اصطياد الرجل الافريقى واسترقاقه القارة فى غير رحمة وتركت أثرها واضحا فى نسبة تعداد سكانها حتى عصرنا هذا فسكان افريقية الذين يكونون اليوم جزءا من اثنى عشر جزءا من مجموع سكان العالم كان تعدادهم فى القرن السابع عشر يصل الى خمس السكان .

والافريقيون يكونون اليوم أغلبية ساحقة فى كل من هايتى وجمايكا وترينداد وأقلية كبيرة تصل أحيانا الى ٤٠ ٪ من مجموع

السكان فيكل من البرازيل والدومينيكان وكوبا والمكسيك وهندراوس ونيكاراجوا وفنزويلا وكولومبيا ، وفيما عدا الدول التي يكونون فيها أغلبية والتي هي باستثناء هايتي مثال للتقدم الاقتصادى والاستقرار السياسي فانهم فى بقية دول أمريكا اللاتينية يعاملون واقعيا كمواطنين من الدرجة الثانية .

وارتباط هؤلاء الافريقيين بالوطن الأم وحنينهم اليه على الرغم من أنهم جاءوا الى هنا رقيقا اصطاده الرجل الابيض أو اشتراه وان علاقتهم به قد انقطعت منذ ذلك التاريخ ظاهرة استرعت انتباه علماء الاجتماع ، لقد جاء كثيرون الى العالم الجديد فلم يلبثوا أن اندمجوا فيه ونسوا أوطانهم الاولى أو تنكروا لها الا هؤلاء الافريقيين فقد كان حنينهم الى افريقية جارفا وتغنيهم بها عميقا وكثيرون منهم آثروا الانتحار على البقاء أو تمردوا على سادتهم ولاذوا بالجبال أو فضلوا الموت شجعانا فى لقاء غير متكافىء مع جيوش الحاكمين وهى عاطفة يستوي فيها الاسود الذى أتاحت له الحياة نصيبا من الثقافة محدودا والاسود الأمى الذى جردته الجهالة من كل سلاح عقلى وهم يحتفظون حتى اليوم وربما أكثر من اشقائهم فى القارة نفسها بتقاليد افريقية وعاداتها وموسيقاها وأساطيرها ورقصها بل اننا نجد القومية الافريقية والدعوة الى وحدة القارة العظيمة لم ير النور فى أفريقية أولا انما ولد هناك وراء المحيط بين الافريقيين المبعدين فى حنينهم الى الوطن الأم فى كفاحهم من أجل حياة أفضل وحقوق متساوية . كان أول صوت ارتفع للافريقى هو صوت (سلفستر وليمز) من جزيرة ترينداد ، وكان (دى بوا) أبو القومية الافريقية أسود من الولايات المتحدة الامريكية (ماركوس جارنى)

صاحب صحيفة (افريقية للافريقيين) و (العودة الى افريقية) ومؤسس الجمعية الوطنية لتقدم الملونين ، من جاميكـا و (بيرس مارس) من هايتى والدكتور ميليارد من جيانا البريطانية وكل هؤلاء ساهموا فى مطلع هذا القرن على نحو واســـع فى التجمعات الافريقية. هؤلاء الملايين من الافريقيين ممن يعيشون بعيدا عن القارة الناشئة يتطلعون اليها فى غبطة ويرقبون تقدمها فى أمل ولئن حال بينهم الجهل وبين ادراك أحداث الوطن على نحو علمى ولئن قعد بهم الفقر عن التردد على عواصمها الا انهم معها بعواطفهم ومشاعرهم.

الرق البرتغالى :

بالرغم من التطورات الجذرية الحاسمة التى طرأت على القارة الافريقية عبر السنين وبالرغم من انقضاء أربعة قرون على وجــود البرتغاليين فى افريقية فان نظرتهم الى الافريقى ظلت على ماهى عليه أى أنه أولا وأخيرا يد عاملة تستخدم بصورة مطلقة فيما يعود بالربح على البرتغال .

هذه هى الفلسفة البرتغالية حددت مركز الافريقى من الناحية الواقعية بغض النظر عن النصوص القانونية وما قد تبدو به من مظهر براق ، فسواء كان الافريقى سلعة معدة للتصدير أو عبدا يقوم بالخدمة المنزلية للرجل الابيض أو شخصا حرا يعمل بمحض اختياره كما يصفه القانون ، أو عاملا يشتغل بمقتضي عقد فان العلاقة الاساسية التى تربطه واحدة ــ تلك هى علاقة الخادم بالسيد (١)

---

(١) الرق الحديث في افريقية ــ دكتور راشد البراوى .

فاذا كان الضمير العالمى الحر يشعر بالنقمة على مايسود ظروف العمل فى المستعمرات البرتغالية بافريقية اليوم من السخرة والارهاق والاستبداد وجب علينا أن نتذكر أن مانلقاه اليوم لايعدو كونه صورة حديثة من نظام العبودية القديم الذى شهد القرن التاسع عشر الغاءه رسميا أثر جهود واتفاقيات دولية .

ولقد مارس البرتغاليون تجارة الرقيق فى افريقية الغربية منذ الاربعينات من القرن الخامس عشر وقامت أهم مراكز لها شمالى خط الاستواء فى ارجيوم (الراس الابيض) وسنتياجو وساو جورج دوامينا وساوتومية ، وكانت لشبونة المستودع الكبير الذى يزود مستعمرات اسبانيا فى العالم الجديد بالعبيد فقد كانت لشبونة تحتفظ بعدد منهم بحيث قدر أن حوالى ١٠ فى المائة من أهلها فى عام ١٥٥٤ كانوا من الرقيق فضلا على نسبة أقل من ذلك فى المناطق الريفية البرتغالية .

وبعد أن تم اكتشاف جزيرة أرجيوم فى عام ١٤٤٣ أنشأ البرتغاليون (فندقا) ترد اليه غلات السودان الغربى وبخاصة الذهب .. ولما لم يحقق المعدن النفيس آمالهم ركزوا اهتمامهم فى تجارة الرقيق التى ظلت تدر عليهم الربح الوافر مدى قرن من الزمان الى أن اضطروا الى نقل نشاطهم صوب الجنوب بسبب صعوبة الاحتفاظ بالجزيرة ازاء الهجمات من جانب القرصان .. والمغامرين الاوربيين .

وشغلت سنتياجو المركز الثانى بالاضافة الى الفنادق المقامة على الساحل الافريقى المواجه وكانوا يأتون بالاهالى من السنغال

وغمبيا وسيراليون ، ودرج البرتغاليون على تأجير المناطق الساحلية لمدة أربع أو خمس سنوات بطريق المزاد ومن هذه الوجهة اعتبرت غمبيا أكثر المناطق أهمية بسبب ارتفاع الايجار .

أما المركز الثالث فكان ساوجورج دامينا وان احتلت تجارة الرقيق المحل الثانى فى الاهمية بعد الذهب وذلك الى حين استيلاء الهولنديين عليها فى عام ١٦٣٧ ومقابل الذهب كان البرتغاليون يأتون بالافريقيين من « بنين وساوتوميه وبل وأرجيوم » (من أقاليم نيجيريا حاليا) .

الا أن أعظم المراكز الاربعة شأنا كان ساوتوميه بحق ، ورخصت الحكومة البرتغالية للاوروبيين فيها بالاتجار فى هذه السلعة البشرية مع المناطق الافريقية المواجهة للجزيرة وبخاصة مملكة (بنين) وان كانت التجارة أخذت تنتشر بسرعة صوب الجنوب من ساحل العبيد الى الكونغو . وراح العمال السود يتدفقون بالقهر من شواطىء غينيا والكونغو وأنجولا على الجزيرة للعمل فى مزارع قصب السكر ومعامل التكرير وفى الوقت نفسه صارت ساوتوميه القاعدة الرئيسية لتجارة الرقيق مع جزر الهند الغربية ثم مع البرازيل بعد ذلك واليها يرجع الفضل فى ادخال زراعة قصب السكر فى البلد الاخير واستخدام العبيد فى مزارعه وبلغت التجارة الشائنة ذروتها على ساحل غينيا فيما بين عامى ١٦٥٠ — ١٨٠٠ ويرجع نشاط تجارة الرقيق فى الكونغو وأنجولا الى عجز تجارة غينيا عن توفير العدد الكافى مما دعا ساوتومية الى البحث عن مصادر جديدة للرقيق ، وخلال الارباع الثلاثة الاولى من القرن السادس عشر كان ساوتوميه المركز الغالب فى شئون الكونغو

وانجولا وصار المستهلك الوحيد والموزع الوحيد لمعظم العبيد الوافدين من الاقاليم الواقعة جنوبى خط الاستواء . ويقدرون أنه فيما بين عامى ١٥٨٠ — ١٦٨٠ صدر من أنجولا حوالى المليون فضلا على نصف المليون من الكونغو ومن المجموع السنوى كان حوالى ٨٥٠٠ يرسلون الى موانى باهيا وريودى جانيرو وبرغبوكو فى البرازيل و ٥٠٠٠ الى منطقة البحر الكاريبى (جزر الهند الغربية) و ١٥٠٠ الى اقليم ريودى لابلاتا . وفى أوائل القرن السابع عشر أصبحت زراعة قصب السكر فى البرازيل تعتمد اعتمادا كليا على الايدى العاملة من انجولا بحيث يجرى القول بأنه (لا وجود للبرازيل بغير السكر ولا وجود للسكر بدون أنجولا) .

وقد اتبع البرتغاليون عدة وسائل للحصول على الافريقيين المسترقين أهمها مايلى : —

١ — اقامة الفنادق فى الداخل حيث يأتى الزعماء المحليون بالعبيد مقابل السلع المصنوعة ونجحت هذه الوسيلة فى غينيا .

٢ — ارسال التجار أو مندوبيهم الى الداخل محملين بالسلع لمبادلتها مع الزعماء المحليين وكثيرا ما عمد هؤلاء التجار الى اثارة الحروب المحلية بين الجماعات الوطنية حتى يتسنى لهم شراء الاسرى .

٣ — شن الحروب على الزعماء الاقوياء وأسر عدد كبير من أفراد قبائلهم .

٤ — مطالبة الذين تمنح اياهم السيطرة فى بعض المناطق بأن

يؤدوا الضرائب المقررة عليهم على صورة عدد معين من الاهالى الافريقيين .

والرحلة عبر الاطلس لم يسجل التاريخ لها مثيلا فى اهوالها التى يصعب على العقل تصورها بحيث ان الافريقيين الذين يرسلون من انجولا كان يموت منهم مابين ٢٠٪ ، ٣٠٪ بسبب المرض أو الانتحار أو الاختناق ، ففى سفينة كانت تحمل ٥٠٠ أفريقى من الرأس الاخضر مات ١٢٠ اختناقا بعد ليلة واحدة فى البحر .

وقد انتشرت تجارة الرقيق بصفة خاصة فى انجولا ولم تقتصر هذه التجارة على فريق معين من البرتغاليين بل كان يزاولها التجار والمغامرون والجنود والحكام حتى القساوسة ورجال بعثات التبشير بلا استثناء ، وخلال المائة والخمسين عاما السابقة على الغاء الرق (عام ١٦٨٠ — ١٨٣٦) قدر أن مليونى فرد جرى تصديرهم من لواندا وبنجويلا فى أنجولا يضاف الى ذلك مليون من موانى الكونغو وخلال السنوات العشر وحدها قبل الالغاء بعثت أنجولا بربع المليون من الافريقيين الى البرازيل .

وبعد انتهاء أجل المعاهدة التجارية بين انجلترا والبرتغال فى عام ١٨١٥ اشتد النشاط فى الموانى الانجولية بحيث بلغ عـــدد ماكانت تحملهم السـفن سنويا مابين ١٨٫٠٠٠ ، ٢٠٫٠٠٠ فرد افريقى .

أما بالنسبة الى موزمبيق فقد بدأت فيها تجارة الرقيق متأخرة نسبيا كما أن البرتغاليين لم يسيطروا الا على المناطق الساحلية من حوض نهر زمبيزى وكان اتجاه التجارة أساسا نحو الشرق وبخاصة

الهند ولم يكن يرسل الى أمريكا الا العدد القليل وهذا يرجع الى طول المسافة بين موزمبيق وأمريكا مما يرفع ثمن العبيد اذ تزداد نسبة الوفيات فى صفوفهم هذا بالاضافة الى خطورة الرحلة حول راس الرجاء الصالح .

ولكن فى عام ١٦٤٠ بدأ الاهتمام بموزمبيق فالسفن العائدة من الهند كانت ترسو فى جزيرة موزمبيق وتويليمين حيث تملأ الفراغ فيها بهذه السلعة البشرية .

وخلال القرن التاسع عشر حدث رواج كبير فى تجارة الرقيق بموزمبيق بفعل قانون العرض والطلب ، فبسبب المعاهدات التى قيدت هذه التجارة والقوانين التى أصدرتها الدول بابقائها اقتصر الرق على المستعمرات البرتغالية ونظرا الى عجز الكونغو وأنجولا عن اشباع الطلب الشديد من جانب العالم الجديد عظم الضغط على موزمبيق بحيث ارتفع المعدل السنوى من ١٠٫٠٠٠ (عام ١٧٨٠ — ١٨٠٠) الى ١٥٫٠٠٠ قبل عام ١٨٥٠ .

وازاء اشتداد الدعوة فى العالم الى الغاء الرق صدر مرسوم بذلك عام ١٨٣٦ (بالاتفاق مع الحكومة البريطانية) وفى عام ١٨٤٢ وقعت الدولتان اتفاقية أعلنت فيها البرتغال أن تجارة الرقيق تعتبر قرصنة وفى سنة ١٨١٩ أصبح مرسوم الالغاء قانونا وأخيرا فى ابريل سنة ١٨٥٨ تقرر الغاء جميع أشكال الرق خلال عشرين عاما .

غير أن الرق وان الغى بالنصوص القانونية ظل قائما فى صور أخرى ابتدعها وأقرها القانون ففى عام ١٨٧٥ الغى نظام الرجل

الحر على أن ينفذ بعد سنة من ذلك التاريخ ولكنه ارغم على التعاقد للعمل لمدة عامين ويحسن أن يكون التعاقد مع مولاه السابق . ومن اجل تنفيذ مرسوم عام ١٨٧٥ صدر تشريع بشئون العمل من ١٠٨ مادة لتنظيم فترة الوصاية خلال العامين المشار اليهما ، ويعتبر هذا اول تشريع للعمل ولكن أهم فقرة فى تشريع عام ١٨٧٨ المادة التى تجعل من سلطة الموظف البرتغالى فى المنطقة التى يتولى امورها ان يعتبر كل أفريقى لا يعمل بمقتضي عقد شخصا متشردا .

وفى عام ١٨١٤ صدر مرسوم الغى جميع تشريعات العمل السابقة عليه وأحل مكانها وثيقة اضافية تقرر المادة الاولى منها على ان (كل وطنى سليم الجسم فى المستعمرات البرتغالية يخضع بحكم هذا القانون للالتزام الاخلاقى والقانونى الذى يفرض عليه ان يدير وسائل عيشه وان يحسن حالته الاجتماعية عن طريق العمل) ويتحقق تنفيذ الالتزام بالعمل ثلاثة أشهر فى بعض الحالات ولمدة لا تقل عن السنة فى حالات أخرى أما العقوبات التأديبية فتتضمن العمل الاجبارى لمدة تتردد بين أسبوع وسنة وتستخدم السلطات المحلية أولئك الذين توقع عليهم العقوبة فاذا لم تستطع تدبير العمل الكافى لهم فانها تسلمهم الى الافراد والهيئات الخاصة . . وهكذا نشأ نظام السخرة الذى لا يختلف من ناحية الواقع عن الرق .

وقامت حجة البرتغاليين على أن الافريقى يصبح متحضرا عن طريق العمل أى أن اجباره على ذلك جزء من رسالتهم التمدينية .

وتدافع البرتغال عن هذه الاساليب المتوحشة محاولة أن تنفى

عنها عناصر الاجبار والاستغلال ، فقد دافع المندوب البرتغالى عن هذه السياسة فى المؤتمر السادس للجمعية الجغرافية الدولية بلندن عام ١٨٩٥ قائلا :

اننا نستمع اليوم الناس يتحدثون عن العمل المستورد أو الاجبارى كما نسمع بالمثل كلمة الرق التى كثيرا ما استخدمت لاستغلال ذوى القلوب الطيبة فى أوروبا . وعندى أن الزنجى لن يشتغل ابدا عن رضاء ذاتى والوسيلة الوحيدة لارغامه على العمل أن نجعله يدفع ثمنا غاليا لاشباع ضروريات الحياة القليلة التى يحتاج اليها وهذا كان هدف سياسة البرتغال الاقتصادية فى افريقية .

وتقول البرتغال فى معرض دفاعها عن هذه السياسة محاولة نفى عناصر الاجبار والاستغلال : ان المرسوم الصادر فى عام ١٩٢٦ قرر أن السخرة لاتستخدم الا للمصلحة العامة (وكانت هذه تشتمل على الكثير من المشروعات الخاصة) وأن يؤدى عنها أجر ، ونص قانون تنظيم شئون المستعمرات الصادر فى عام ١٩٣٠ على أن (نظام العمل بالتعاقد يقوم على أساس الحرية الفردية وحق الوطنى فى الحصول على أجر عادل ومعونة عادلة ولاتتدخل السلطة العامة الا لاغراض التفتيش) .

غير أن العبرة ليست بالنصوص الخاصة بحرية الافريقى فى مزاولة العمل الذى يناسبه أو بحقه فى الحصول على الاجر العادل والمساعدات العادلة مثل الغذاء والمأوى والخدمة الطبية ولكن العبرة بالتطبيق العملى .

وهنا نجد سياسة البرتغال فى مستعمراتها الافريقية منافية

لجميع المبادىء الانسانية المتعارف عليها والاتفاقيات الدولية المختلفة وليس أدل على صحة القول من عدم انضمامها الى اتفاقية السخرة التى أعدها مكتب العمل الدولى التابع لعصبة الامم وعدم سماحها اليوم بدخول لجان دولية للتحرى والاستقصاء بل وسد الابواب أمام الزائرين المعروفين لمشاعرهم الانسانية والامثلة كثيرة على العسف الذى يعانيهالافريقيون .

نقد للنظام :

١ — ينص القانون فى حالة السخرة على عدم اداء الاجـر عن الاعمال التى يعود نفعها على الافريقيين مباشرة وهذا مبدأ عجيب فى القرن العشرين اذ المفروض أن هذه الاعمال من صميم واجبات الحكومة وهى تحصل على الاموال اللازمة لها عن طريق الضرائب وكثيرا ما يعمد الموظفون الى تسـخير الاهالى فى اصلاح الطرق حتى يثبتوا كفايتهم لدى رؤسائهم .

٢ — يرسل الافراد الذين لا تميل اليهم السلطات المحلية بسـبب أو آخر الى ساوتوميه وبرنشيبى للعمـل فى مزارع قصب السكر فى ظروف ثبت أنها لاتختلف عن أسوأ مظاهر العبودية.

٣ — المفروض طبقا للتشريعات أن يحصل العـامل بالاختيار أو بالتعاقد على الاجر العادل والمعونات العادلة ولكنه لا يعطى الا الأجر الذىيكاد يمسك رمقه والغذاء الذىيقدم اليه منأحط الانواع والمأوى لا يختلف عن حظائر الحيوانات والخدمات الطبية يكاد لا يكون لها وجود مما يشهد به تقرير جلفاو الذى سبق ذكره فى الفصول السابقة .

٤ ــ المفروض كذلك أن يتعاقد الافريقى فى حرية تامة ولكن الذى يحدث فعلا أن صاحب العمل سواء كان فردا أو شركة يتقدم بطلب الى السلطات يتضمن عدد الايدى العاملة اللازمة . ويحال الطلب الى مأمور الجهة وهنا يتسع المجال امام الرشوة اذ يعمد هذا الموظف الى جمع أكبر عدد ممكن من العمال وبذلك تزداد مكاسبه .

٥ ــ والحالة فى ظل الاوضاع القانونية الحديثة أسوأ بكثير فى حالة العبودية الساخرة ، فقد كان مالك العبيد حريصا نسبيا على ان يظل العبد حيا أطول مدة ممكنة بسبب ارتفاع الثمن أما اليوم فصاحب المزرعة أو المشروع الخاص لم يعد يهتم بهذه الناحية اذ ماعليه اذا نقص العدد بسبب الموت المبكر نتيجة الارهاق وسوء التغذية (نقص العناية الطبية) الا أن يطلب عمالا آخرين فتبادر السلطات الى تدبيرهم .

٦ ــ ولا يراعى أصحاب الاعمال والموظفون الشروط الخاصة باعفاء الصبيان الصغار وانما يجرى استخدامهم على نطاق واسع وخارج مناطقهم بعيدا عن أهليهم وبخاصة فى مزارع الشاى فى منطقة نياسا ومزارع البن فى أنجولا .

٧ ــ وعلى الخادم الافريقى لدى الاسرة الاوروبية أن يحمل دفترا يوضح مركزه وعلى مخدومه التوقيع فى الدفتر كل يوم فاذا نسي الاخير أن يفعل ذلك فان السلطة تعتبر الافريقى مسئولا حيث يقبض عليه وتحلق رأسه ويرسل للعمل فى الطرق أو يلقى به فى السجون .

ولعل أدق وصف لحالة الافريقيين فى مستعمرات البرتغال ما جاء على لسان الكاتب الامريكى جون جنتر (١) اذ قال : « ان الوطنيين الذين يعيشون هناك أشد الناس تأخرا فى القارة » .

ولا يقف الامر عند هذا الحد بل ان انجولا وموزمبيق تزودان عددا من البلدان والاقاليم المجاورة بالعمال وهذه الظاهرة أشد وضوحا فى موزمبيق منها فى انجولا .

وتعرض هذا النظام للنقد الشديد على أساس أنه يؤدى الى استنفاد القوة البشرية فى المستعمرة وانه فى الوقت الذى يتدفق فيه الاولون على البلدان المجاورة فان فى موزمبيق مساحات واسعة من الارض فى حاجة الى الاستغلال الزراعى ومع ذلك فانها مهملة بسبب عدم توافر الايدى العاملة وقيل كذلك : ان العمال يعودون بأفكار وعادات جديدة بحيث يصعب ادماجهم فى المجتمع المراد اقامته فى المستعمرات البرتغالية وعن طريق الاتصال بغيرهم كانوا يتأثرون بالكثير من الآراء عن حركات التمرد فى افريقية .

الا أنه يلاحظ أن الافريقيين يفضلون العمل خارج المستعمرات الافريقية ويهرب منهم الكثيرون سرا لهذا الغرض والسبب فى هذا سوء المعاملة التى يلقونها فى بلادهم بسبب نظام السخرة وارتفاع الاجور ومستوى المعيشة فى البلدان التى يتوجهون اليها . قد تكون سياسة العزل العنصرى عنيفة فى اتحاد جنوبى افريقية أو روديسيا الجنوبية ولكنهم يفضلونها على مافى بلادهم ، الامر الذى يكشف بجلاء عن حقيقة الاحوال فى افريقية البرتغالية .

---

(١) كتاب فى داخل افريقية للكاتب الامريكى جون جنتر

درس من جوا الهندية

ان ما أراه وأعرفه عن طبيعـــــة الاحـــوال فى جوا ... لايدعو الى التفاؤل..وان صمت الهنود فى جوا ليس مصدره عدالة الحكومة وميولها الانسانية بل لخوفهم من أســـاليب بطشها وتعسفها وابقاء لها .

غاندى

درس من جوا .. الهندية

تبدأ قصة استعمار البرتغال للهند فى عام ١٤٩٨ عند ما وصل الرحالة البرتغالى فاسكودى جاما الى الشاطىء الغربى للهند واقام مراكز تجارب فى ثلاث مناطق من هذا الساحل ثم مالبثت القوات البرتغالية أن غزت المناطق الثلاث فى عام ١٥٠٢ واتخذتها مستعمرات لها .

وتتألف المستعمرات البرتغالية فى الهند من جيوب ثلاثة أولها وأكبرها « جوا » Goa الواقعة فى منتصف الشاطىء الغربى للهند وثانيهما « دامان » Daman التى تقع بالقرب من مدينة بومباى ، وثالثها « ديو » Diu وهى جزيرة صغيرة تبعد مسافة ١٤٠ ميلا عن دامان ومجموعة مساحة هذه المستعمرات حوالى ١٣٠٠ ميل مربع وسكانها ٦٣٠ر٠٠٠ نسمة وهى تبعد عن البرتغال بما يزيد على ٥٠٠٠ ميل . وهذه الجيوب الثلاثة من كل الوجوه جزء لايتجزأ من الهند جغرافيا وجنسيا وثقافيا كما أنه ليست هناك اية حواجز طبيعية بينها وبين الهند فهى تشكل جزءا من المناطق الساحلية

نفسها وترويها مجارى مياه مشتركة وتحيط بها سلاسل جبال مشتركة كذلك ، وأما الاهالى فهم من أصل هندى وما القول بأنهم خليط من الهنود والبرتغاليين ذوى الاصل الاوروبى الا محض خيال ، والواقع أن الاحصاءات الرسمية التى كانت تنشرها ادارة جوا تكذب هذه الادعاءات فمن بين مجموع السكان البالغ عددهم ٦٣٠ر٠٠٠ نسمة لايوجد الا ٥٦٢ شخصا أوراسيويا و ٥١٧ شخصا أوروبيا والنتيجة التى لا مفر منها هى أنه لا توجد علاقة بين البرتغاليين وأهالى جوا .

واستمرت البرتغال تحكم منطقة جوا منذ عام ١٤٩٨ بالحديد والنار تارة وبالتحايل تارة أخرى فخنقت الحريات السياسية الاساسية وملأت السجون بالاحرار الوطنيين واستخدمت ذكاءها القانونى للتحايل على الالفاظ والمغالطة الماكرة للابقاء على مستعمراتها فى الهند .

التحايل القانونى الذى استخدمته البرتغال :

فى سنة ١٩٥١ حدث تغيير لفظى حين أدمج قانون المستعمرات الذى كان ساريا سنة ١٩٣١ فى الدستور السياسي للبرتغال كما ذكرنا قبل ذلك فى الفصول السابقة ومن تلك السنة اتخذت الامبراطورية البرتغالية الاستعمارية شكلا جديدا .

وقد كان الدافع لهذا التغيير هو رغبة البرتغال فى القضاء على العقبات التى تقف فى طريق انضمامها للامم المتحدة التى يرفض ميثاقها سياسة الاستعمار رفضا باتا ويدون بروح الاجلال حق الشعوب فى الاستقلال .

لذلك كان على البرتغال قبل أن تقبل فى عضوية الامم المتحدة أن تثبت عن طريق هذا التغيير القانونى أنها لم تعد لها مستعمرات تسيطر عليها ، بل هناك أجزاء من دولة حرة كبيرة وكل هذه الاجزاء متساوية من كل الوجوه تتمتع بالحريات الاساسية وهى ديمقراطية فى تكوينها . لهذا استغنى عن كلمة « مستعمرة » وحلت محلها كلمة « مقاطعة » فيما أصبح يعرف بالبرتغال فيما وراء البحار .

الحركة القومية لمقاومة الاستعمار البرتغالى :

لم يجد أهالى المستعمرات البرتغالية من وسيلة لتحرير أرضهم واعادتها الى الوطن الأم الهند غير وسيلة الكفاح المسلح فأخذوا ينظمون أنفسهم فى شكل (فرض مقاومة) لحمل الاستعمار البرتغالى على الرحيل من الاراضى الهندية فى أذيال الاستعمار البريطانى الذى رحل منذ عام ١٩٤٨ .

والواقع أن مقاومة جوا للامبريالية البرتغالية ترجع الى سنة ١٦٥٤ عندما رفع علم الثورة قس رومى كاثوليكى اسمه كاسترو وفى سنة ١٧٨٧ حدث ماعرف بثورة « بتفوسن » فواجهت السيطرة وقتئذ تحديا أعظم وأدق تدبيرا . ولقد كانت هناك محاولة قام بها جماعة من القساوسة فى جوا تهـــدف الى التخلص من الحكم البرتغالى الا أن المحاولة باءت بالفشل وقبض على زعماء المؤامرة .

وفى سنة ١٨٣٥ عين ملك البرتغال أحد الاهـــالى فى جوا واسمه برناردو بيريس واسيلفا فى منصب رئيسى فاستاء الاوربيون من هذا التعيين واضطروا واسيلفا الى ترك وظيفته واللجوء الى الهند البريطانية حين ذاك فساعده البريطانيون فى اعداد حملة

وأمدوه بضباط عسكريين وبحريين لتوطيد سلطته فى جوا ومع أن الحملة السيئة المصير كانت نتيجتها الخذلان .

وقد كانت أسرة رانا مدساتارى خلال القرون الطويلة أقوى المعارضين للحكم البرتغالى فى جوا ذلك أنهم قاموا بمحاولات عدة لطرد الاجانب المكروهين وكانت أخطر محاولة لهم فى سنة ١٨٥٢ حين تزعم « ديباجى رانا » ثورة تركت أثرا عميقا على تاريخ حركة التحرير فى جوا وقد استمر نطاق الثورة ثلاثة أعوام ونصف عام مما اضطر الحاكم العام فى النهاية الى عقد صلح مع الثائر . ووافق البرتغاليون فى هذا الصلح على حماية النظم القــروية وابطال اجراءات القمع الدنيئة ومنح العفو العام للثائرين ومنح « ديباجى رانا » سيف الشرف ولقب ضابط شرف .

ومع ان هذه الاجراءات الملطفة أوجدت هدوءا مؤقتا فانها لم ترو غليل الشعب المتعطش الى الحرية . ففى خلال القرون «السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر والجزء الاول من القرن العشرين» اتخذت الحركة التحررية طابع العنف .

تحول المقاومة من ايجابية الى سلبية :

غير أنه بظهور المهاتما غاندى على مسرح الاحداث طرأ على المقاومة الوطنية للحكم البرتغالى فى جوا تغير اساسي ذلك أنه عند ما أسس الدكتور « تريستاو براجنز » المؤتمر الوطنى فى جوا سنة ١٩٢٨ اتخذ عدم العنف مبدأ يهتدى به وفى شهر يونيو سنة ١٩٤١ بدأت حملة لنشر الحريات المدنية فى جوا فتحدى الشعب بجميع طبقاته فى جوا من أساتذة وطلبة وقرويين القوانين التى تحد

من الحريات الاساسية وذلك بعقد اجتماعات والسير فى مواكب عامة واتباع المقاومة السلبية ، ومع أن الصلح المعقود ظل قائما فان شدة التمسك بالجهاد اللاعنفى قابلته السلطات بالعنف والقسوة البالغة فتقدم زعماء الحركة للمحاكمة أمام محاكم عسكرية وصدرت ضدهم احكام وحشية .

ولنا أن نقف هنا قليلا لنتساءل : هل مبدأ عدم العنف الذى فسره ومارسه المهاتما غاندى لكى يكسب للهند استقلالها مبدأ محدود التطبيق أو مبدأ عالمى ؟ . ان المشكلة الحقيقية فى انجولا هى : هل يمكن أن ينجح عدم العنف فى مواجهة عدو ليس لديه أدنى بادرة اخلاقية ؟ ان الهنود جديرون بأن يشهروا نضالهم من أجل الاستقلال بحركات التحرير فى أى مكان آخر من العالم ، ولكن الهدف الرئيسى الذى كان يضعه المهاتما غاندى نصب عينيه لم يكن تحقيق الاستقلال فحسب وانما اعادة بناء الشعب الهندى من الناحية الاخلاقية ، وقد برهن بحق على انه لا يمكن الحصول على الاستقلال والمحافظة عليه مالم يقم الشعب الهندى نفسه بالنظام فبالنسبة للشخص الذى يؤمن بعدم العنف يمكن أن يكون النظام أمرا مفروضا ذاتيا فقط أى نظام لايتهاوى فى وجه أعظم كبت وحشي من جانب الحكومة .

وتحتاج حملة عدم العنف لنجاحها الى وجود خصم مستعد للمناقشة والاحتكام الى العقل وتوجه فى النهاية المصلحة الذاتية ؛ فدكتاتور مثل « هتلر » مستعد لابادة جنس بأكمله لن يتأثر مطلقا بعدم العنف اذ كان يفضل فى الغالب لو انه وجد ضحايا جددا لاشباع

غريزته فى حب الحرب ، فهل يمكن أن يقول أى شخص ان دكتاتور البرتغال سالازار أفضل من هتلر .

واستمرت حركة التحرر من حكم الاستعمار البرتغالى تسير بخطى حثيثة بالرغم من قيام السلطات البرتغالية بالقاء القبض على مئات من السيدات والرجال من آهالى جوا لاشتراكهم فى حركة التحرير .

كذب الادعاءات البرتغالية :

كان هناك من العوامل والشواهد مايؤكد أن جوا ودامان وديو هندية دما ولحما .

١ ـ عامل جغرافى :

وقد سبق الاشارة الى هذا العامل عند ما أثبتنا أن هذه الجيوب الثلاثة جزء لايتجزأ من الهند جغرافيا وجنسيا .

٢ ـ عامل اللغة :

بالرغم من القرون الأربعة والنصف التى قضاها الاستعمار البرتغالى فى جوا فان الغالبية الساحقة من أهالى جوا يتكلمون اللغة الكونكافية وهى لهجة هندية شائعة الاستعمال على كل الساحل الغربى للهند من بومباى شمالا الى مانجالور جنوبا . ويتكلم الكونكافيه الهندوس والمسيحيون والمسلمون على السواء . وأما الذين يتكلمون أو يفهمون اللغة البرتغالية فهم أقلية ضئيلة جدا لا تذكر . وقد بذلت جهود جبارة خلال القرون المتوالية من جانب

نواب الملك والحـــــكام العامين المتعاقبين على جوا .. لاستئصال النواحى الهندية من حياة أهالى جوا اذ يحرم عليهم استعمال اللغة الهندية والملابس الهندية والتمسك بالعادات الهندية ، بالاضافة الى ذلك فان عدد التلاميذ فى المـــدارس المارانية والجـــو جـــــيرانية والانجليزية هو ٢١٫٠٠٠ فى حين لايوجد فى المدارس البرتغالية سوى ١٫٦٠٠ تلميذ .

٣ ــ عامل الديانة :

استخدام الحـــكام البرتغاليون الدين كأداه أساسية لتثبيت نفوذهم الاستعمارى وبعبارة أخرى ربط هؤلاء الحكام الدين بالولاء لسيادة البرتغال وعلى الرغم من ذلك فان الاحصائيات الآتية طبقا لتعداد سنة ١٩٥٠ تبين فشل السياسة البرتغالية .

الديانة	العـــدد
هنـــدوس	٣٨٨٫٤٨٨
مسيحيون	٢٣٤٫٢٧٥
ديانات أخرى	٩٫٠٨٦

٤ ــ العادات الهندوسية :

والعادات والتقاليد الهندوسية كانت متبعة بين الذين اعتنقوا المسيحية منذ أجيال بالرغم من المجهودات التى بذلتهـــا السلطات المدنية والدينية لاستئصال هذه التقاليد على أساس أنهــــا تخالف المبادىء الاساسية للديانة المسيحية .

٥ ــ التحايل القانونى :

سبق أن أشرنا الى الغرض من التحايل القانونى الذى أقدمت عليه البرتغال فى سنة ١٩٥١ وكان من نتيجته الاستغناء عن كلمة مستعمرة واحلال كلمة مقاطعة بدلا منها .

والواقع أن قليلا من البحث التاريخى قد يكشف لنا حقيقة هذا التحايل فلقد استعملت كلمـــات « مستعمرات » « اقســام » « مقاطعات » فى الماضى فى عدة قرارات وتشريعـــات على أنهـــا مرادفات بعضها لبعض فمثلا فى قانون سنة ١٩٣٣ الـــذى يبسط ما يسمى (الاصلاح الادارى فيما وراء البحار) يجد القارىء تحت عنوان الاقسام الادارية للامبراطورية الاستعمارية المادة الآتية :

المادة الثانية : والمادة لاغراض ادارية تقســـم المستعمرات البرتغالية الى مصالح وبلاد وتنقسم البلاد الى أجزاء ادارية ثلاثة .

(١) مراكز (٢) مقاطعات (٣) مراكز ومقاطعات .

المادة الثالثة : المستعمرات المقسمة الى مقاطعات يحكمهـــا حاكم عام .

بداية النزاع :

فى سنة ١٩٥٤ وصل النزاع الخاص بمشكلة جوا الى درجة خطيرة وفشل المعنيون بالشئون البرتغالية فى ادراك أن نهـــرو أصبح ــ بطريق غير مباشر ــ هو القائد المجهول لنضال البرتغاليين من أجل حريتهم أو بمعنى آخر أن مسألة « جوا » هذه ستكون نقطة البدء فى زوال حكم الديكتاتور سالازار .

وعرض نهرو تسوية هذه المشكلة بالوسائل السلمية قائلا : انه لا يجوز ترك جوا التى تقع جنوبى بمباى تحت الحكم الأجنبى فى الوقت الذى أنهت فيه بريطانيا امتلاكهـــا لباقى أجزاء الهند التى يبلغ عدد سكانها ٤٠٠ مليون نسمة ، ولقد ادعى سالازار أن البانديت نهرو يجهل القانون الدولى لكن البانديت نهرو عرف كيف يعـــالج قرصنة العصور الوسطى التى يسير على نهجها سالازار ، فقرر قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين .

وقد شغل البرتغاليون فى بادىء الأمر تفكيرهم فى معالجة أمورهم السياسية والاقتصادية ومشكلاتهم الاجتماعية حتى أنه لم يعد لديهم الوقت الكافى لملاحظة صمت سالازار ازاء المفاوضات الهندية البرتغالية فاكتسبت « جوا » بسبب عناده وصلابته أهمية كبيرة فى السياسة البرتغالية تفوق أهميتها المادية ، ومن الغريب أن نظام الدولة الجديدة التى أنشأها سالازار امتد حتى شـــمل هذه المستعمرة (جوا) فى حين أن غاندى الزعيم الهنـــــدى الراحل أرسل خطابا فى هذا الصدد الى الحاكم العام فى جوا يوم ٢ من أغسطس سنة ١٩٤٦ يقول فيه : **« ان ما أراه وأعرفه عن طبيعـــة الاحوال فى (جوا) لا يدعو الى التفاؤل وان صـــمت الهنود فى (جوا) ليس مصدره عدالة الحكومة وميولها الإنسانية بل لخوفهم من أساليب بطشها وتعسفها واتقاء لها وانى لارجو عفوكم لعدم تأييد بيانكم الذى يقول ان جوا تتمتع بحرية كاملة وان التذمر يسود فقط قلة من الساخطين ويؤكد لكم ما أدعو اليه للجلاء عن جوا ، ان البرتغاليين الواعين يعرفون أن أهل جـــوا تجمعوا فى عدة أماكن لاعلان سخطهم على السياسة الاستعمارية التى يسير عليهـــا الديكتاتور سالازار »** .

وقانون المستعمرات يهبط بأهالى جوا الى مواطنين من الدرجة الثانية وفى ظله أيضا حرم على أهل المستعمرات البرتغالية أن يصبحوا ضباطا فى الجيش . وان رأى سالازار الذى يقول فيه : ان حماية جوا انما هى احترام لذكرى أسلافنا مغالطة كبيرة لتاريخ البرتغال ووصمة في جبين هؤلاء الاسلاف أنفسهم لانهم لو كانوا على قيد الحياة حتى اليوم لكان من الطبيعى أن يتجهوا الى حل المشكلات البرتغالية الاجتماعية بدلا من اضاعة وقتهم فى هذه الجهات النائية .

ان البرتغال ليست لها مصالح اقتصادية هامة فى جوا ، ومع هذا فقد زاد سالازار من حدة مشكلاته المالية بسبب ماتكبده من نفقات عسكرية بجانب الارتباك الاقتصادى الخطير الذى كانت تعانيه جوا نفسها .

ان من بين المعجبين بشخصية سالازار من يرون أن معالجته لمشكلة جوا هى احدى أخطائه الكبرى فى السياسة الخارجية كما أن بعض الساسة البرتغاليين يرون أن الزعيم نهرو — الذى يعتبر من كبار الساسة فى العالم فضلا على زعامته لبلاد يمكنها أن تؤدى دورا كبيرا فى ميزان القوى العالمى — لابد أنه سيستخدم نفوذه ضد الاستعمار البرتغالى وخاصة مع الكتلة الافريقية الآسيوية التى تزداد أهميتها مع الايام .

ان شعب جوا نال دون سائر شعوب المستعمرات البرتغالية قسطا من التعليم واكتسب زعامة المستعمرات البرتغالية فى افريقية وهذا ما أمكن جوا من أن يكون لها دور مهم فى التحرير المتوقع لباقى المستعمرات الافريقية قريبا .

وفى عام ١٩٦١ قال الرئيس نهرو : ان الهند لم تعد بوسعها تحمل الوضع الراهن فى منطقة جوا البرتغالية الواقعة على الساحل الغربى من الهند وقال : ان الهند أبدت تمالكا للاعصاب بالنسبة لجوا طوال الاربعة عشر عاما الماضية ، ولكن الحوادث الاخيرة وصلت الى حد التحدى المشين ، ثم قال : ان الحل الوحيد للبرتغال هو الجلاء عن جوا .

وقال سالازار : اننا نحارب فى جوا لكى نحتفظ بذكرى المكتشفين البرتغاليين . ونظمت الحكومة البرتغالية الاحتجاجات على الزعيم نهرو .

وفى ١٧ من ديسمبر سنة ١٩٦١ شنت القوات الهندية البرية والجوية هجوما ذا ثلاث شعب على جوا وفى الوقت نفسه أرسلت البرتغال رسالة الى مجلس الأمن تشكو فيها بأن الهند تهدد بضم جوا بالقوة كما اقترحت البرتغال ارسال مراقبين دوليين مستقلين الى حدود جوا لتحديد المسئولية فى أى حادث قد يقع على الحدود ولكن لم تجد هذه الشكاوى أية استجابة واستمرت القوات الهندية فى تقدمها داخل المستعمرة واستطاعت أن تحقق النصر وتنتزع جوا الهندية من براثن المستعمرين البرتغاليين ، وبذلك انتهت الى الأبد قصة الاستعمار البرتغالى المريرة التى عانى منها الشعب الهندى فى جوا .

ومما لا شك فيه أن تصرف سالازار فى مشكلة جوا أن دل على شيء فانه يدل على حماقة بلهاء وعلى عقلية استعمارية ديكتاتورية لأنه دخل فى معركة خاسرة مائة فى المائة ولا يحتمل النجاح فيها مطلقا ومع ذلك ركب سالازار رأسه واستمر الى نهاية الشوط برغم علمه

بالنهاية المحتومة ، وقد تسبب سالازار بذلك فيتحويل اتجاه الشعور الشعبى فى البرتغال نحو مشكلات الامبراطورية وقد أدى هذا الى تحول الرأى العام البرتغالى عن مشكلاته الاجتماعية الحقيقية وكان الماضي منفذ احتمى فيه الحزب السالازارى — الذى أخذ على عاتقه انقاذ الارض المباركة التيخضبتها دماء الاسلاف ، ولقد اتخذسالازار من تظاهره بالوداعة والدين ستارا أخفى تحته دهاء السياسة الذى اكتسبه من صلاته بالفازيين والفاشيين فعرف كيف يستغل وينظم الاجتماعات الشعبية ويتخذ منها عاملا لاثارة الشعور القومى وايهام الناس بالتمسك بالماضي وقيمه وأمجاد المستقبل .

وقد أدت هذه القيادة مهمتها فتحمس الفلاحـون للانتظام فى سلك اول الحملات الرامية الى جوا ، ولكن لم يرض الزعيم نهرو أن يجعل من هؤلاء الفلاحين المغلوبين على أمرهم أداة لسفك دماء شعب جوا الذى يقاسمهم كئوس الظلم والطغيان ، فبادر بمهاجمة المستعمرة واستولى عليها واستخلصها فى الحال من البرتغاليين وبذلك فوت على سالازار غرضه الذى كان يستغل سذاجة الفلاحين البرتغاليين ويثير فيهم نخوة التمسك بأمجاد أجدادهم المكتشفين .

وقد كانت حرب جوا درسـا بليغا لسـالازار ولسياسته الاستعمارية ، وظن العالم أن سالازار سيتعلم من هـذا الدرس ويغير سياسته تجاه المستعمرات البرتغالية فى افريقية ولـكنه لم يعبأ وظل سادرا فى سياسته الاستعمارية البشعة متناسيا ما حدث فى جوا ولكن باندلاع الثورة العسكرية فى أنجولا ستكون الصفعة الثانية التى سيتلقاها سالازار .

انجولا الثائرة

لقد عانت أنجولا العبء الاكبر عن مساوىء الاستعمار ـ البرتغالى ومفاسده ، فكانت المكان الذى استنزف البرتغاليون موارده البشرية فى عهد تجارة الرقيق السافرة .. ولم ينس أهلها تلك الايام السوداء ...

(...)

أنجولا الثائرة (١)

تقع أنجولا بين نهرى الكنغو وكونين ويحدها من الشمال والشمال الشرقى الكونغو (ليوبولد فيل) ومن الجنوب أفريقية الجنوبية ومن الشرق روديسيا الشمالية فى حين تطل على المحيط الاطلسي من ناحية الغرب بساحل طوله حوالى ١٠٠٠ ميل ، وان لم تتوافر فيه الظروف الملائمة لانشاء الموانى الطبيعية الجيدة . اما منطقة كابندا Cabinda فتقع شمالى نهر الكونغو ويفصلها عن بقية انجولا شريط ضيق من اراضي جمهورية الكونغو .

ويتكون الاقليم من سهل ساحلى يتردد عرضه بين ٣٠ ميلا و ١٠٠ ميل وتمتد موازية له مساحات مرتفعة تتجه صوب الشمال والجنوب وأعلاها هضبة منجويلا التى يتجاوز ارتفاعها ٧٥٠٠ قدم فى حين يتردد الارتفاع فى الهضاب عموما بين ٤٠٠٠ ، ٦٠٠٠ قدم ويخفف الارتفاع من درجة الحرارة الشديدة ولهذا تصلح هذه المناطق لاقامة الأوربيين وتهبط الهضبة فى الشرق الى منخفضات تكون فى الشمال الشرقى جزءا من منابع مجموعة نهر الكونغو ، فى حين تنصرف فى الجنوب الشرقى فى أنهار زمبيزى وبحيرات بشوانا لاند الشمالية والانهار الرئيسية هى كونزا وكونين وكاساى

---

(١) الدراسة الجغرافية مأخوذة من الموسوعة البريطانية .

وكوانجو وهى من فروع الكونغـو وكوبانجو ويصـب فى بحيرة نجامى .

ويختلف المناخ تبعا للتضاريس ، فعلى طول الساحل يقل المطر وتأتى به الرياح الغربية بسبب تيار بنجويلا البارد ويبلغ متوسط المطر السنوى ١٢ بوصة فى لواندا و ٩ بوصات فى لوبيتو ، وبوصة واحدة فى موزاميدس فى نصف الجنوب .

وفى اقليم الهضبة يتردد متوسط المطر سنويا بين ٤٠ ، ٦٠ بوصة ويمتد الفصل المطير عادة من اكتوبر الى مايو . أما فى الجنوب والجنوب الغربى فالمطر قليل ولكنه منتظم ودرجة الحرارة مرتفعة بوجه عام بسبب القرب من خط الاستواء ، وان خفف منها الارتفاع من جهة وتيار بنجويلا البارد من جهة أخرى .

والنبات الطبيعى غزير فى الشمال وتغطى الغابات المدارية مساحات كبيرة من المرتفعات شمالى نهر كوانزا فى حين توجد الاشجار فى هضبة بنجويلا وتنتشر أعشاب السافانا فى الجنوب والشرق وتربة البلاد خصبة بوجه عام ونظرا لتنوع المناخ يمكن زراعة مختلف أنواع نبات المناطق المدارية والمعتدلة .

وبالرغم من أن انجولا قطر متسع فانها قليلة السكان اذ تبلغ كثافة السكان بها ٢٨ر١ شخصا فى الميل المربع ويتألف سكانها من ٧ر٤ من المليون من قبائل كثيرة ويتحدثون بلغات متعددة ومن بين ٧ر٤ من المليون يوجد ٢٠٠ الف أوروبى استوطنوا هناك منذ عهد قريب والقبائل الرئيسية وفقا لتعداد سنة ١٩٥٠ هى أوفيد مبيندو وعددها ٧٤٢ر٤٤٣ر١ وكيمبوندو ويبلغ عددهم ١٠٨٣٣٢١ ،

والكيكونجو ٤٧٩ر٨١٨ وقبائل اللوندا ويلفون ٣٥٧ر٦٩٦ ونجانجلا ٣٢٨٢٧٧ وهذه هى الجماعات الرئيسية وتوجد ايضا قبائل أخرى كثيرة .

وتوجد فى أنجولا مدن كبيرة كثيرة والعاصمة لواندا هى أكبر المدن بسكانها الذين يزيد عددهم على ٢٢٥ الفا منهم ٣٥ ألفا من البيض ومن المدن الهامة الأخرى منجويلا وعدد سكانها ١٩ ألفا ولوبيتو ٣٢ ألفا وماوا باندبرا ويوجد بهذه المدن عدد كبير من السكان البيض وتعتبر لواندا ذات المناخ الاستوائى من أجمل المدن فى أفريقية وهى بالتأكيد مدينة تتسع بسرعة والنتيجة نقص حاد فى المساكن .

أهمية أنجولا الاقتصادية :

تعتبر انجولا البلد الذى فتح أعين العالم بطريقة مسرحية على وحشية الاستعمار البرتغالى من أغنى الاقطار الافريقية وتبلغ مساحتها ١٢٤٦٧٠٠ كيلو متر مربع وهى قدر مساحة البرتغال ١٤ مرة .

وتعتبر انجولا وموزمبيق على درجة كبيرة من التخلف الاقتصادى والفقر بالقياس الى غيرهما من البلاد الافريقية الأخرى التى كانت تابعة للدول الاستعمارية مثل اتحاد أفريقية الوسطى والكونغو وكينيا وغانا وترجع هذه الظاهرة الى اعتبارات عدة منها تخلف البرتغال الاقتصادى ذاتها وعدم اقبال أهلها على الهجرة والاستيطان فى المستعمرات الافريقية وقلة رأس المال البرتغالى للاستعمار فى تلك المستعمرات وعجز حكومة سالازار عن تشجيع رءوس الاموال

الاجنبية وسوء الادارة والمراكز الشديدة التى حدت من حرية المستعمرات فى التصرف والعمل وانحطاط مستوى معيشة الافريقيين بصورة بالغة ، واستخدام أساليب السخرة بشكل أو بآخر ، ومعظم التوسع الاقتصادى الذى حدث فى المستعمرتين فى السنوات الاخيرة يقوم أساسا على زراعة بعض المحصولات ذات القيمة فى التجارة الخارجية مثل البن والسكر وعلى الترانسيت عن طريق لورنزو مركيز فى موزمبيق ولوبيتو فى أنجولا .

الزراعة :

تمثل الزراعة الحرفة الاساسية فى أنجولا وتقوم الزراعة الافريقية على مجرد اشباع الحاجات الاولية للاهالى ولذلك تقتصر فى الغالب على انتاج المواد الغذائية وأهمها الأذرة والدخان الى جانب البطاطا ويستخدم الوطنيون الاساليب والادوات البدائية ومن هذا كله كان مستوى المعيشة فى صفوفهم منخفضا الى حد بعيد .

أما الزراعة الحديثة ويمارسها الأوربيون فانها تمتاز بمظاهر أخرى وهى الوحدات الزراعية الكبيرة والمتوسطة التى منحت للشركات والافراد وازدياد استخدام الاساليب الفنية الحديثة وان كان الاعتماد الاكبر على العمل اليدوى والافريقى بصفة خاصة اذ الاخير أقل كلفة من استخدام الآلات الميكانيكية والتركيز على انتاج المحصولات التجارية والصناعية وأهمها البن وقصب السكر والقطن ، والبن أهم محصول فى أنجولا وينمو البن فى الشمال وخصوصا فى المزارع التى تملكها الشركات والمزارعون الاوربيون وهو يكون ٤٥ ٪ من صادرات انجولا ويبلغ عدد مزارع البن فى المستعمرة كلها حوالى ٥٠٠ مزرعة .

ويعتبر البن أهم المنتجات الزراعية المعدة للتصدير ويقدر انتاجه الظاهر خلال السنوات العشر الاخيرة بصفة خاصة فارتفع من ٤٥٫٠٠٠ طن سنة ١٩٥٠ الى ٧٥٫٠٠٠ طن سنة ١٩٥٧ ثم تحققت فى سنة ١٩٥٨ زيادة قدرها خمسة فى المائة ولقد تعرض محصول عام ١٩٦١ الى خسارة فادحة لاتقل عن ٤٠٪ بسبب تخريب المزارع نتيجة للثورة الوطنية كما غادرها العدد الكبير من العمال الافريقيين ، ومن حيث الأهمية بالنسبة الى الانتاج الافريقى تأتى انجولا مباشرة بعد أفريقية الغربية ، وكان نصيبها من انتاج القارة ٢١٫٧ ٪ سنة ١٩٥٣ ثم هبط الى ١٦٫٧ ٪ سنة ١٩٥٦ ، ١٤٫٤ ٪ سنة ١٩٥٨ ويرجع هبوط النسبة بالرغم من الزيادة المطلقة فى الانتاج الى التوسع فى زراعة هذا النبات فى البلاد الافريقية الأخرى .

ويلاحظ أن الجانب الاكبر من الانتاج الانجولى يصدر الى الولايات المتحدة الامريكية ففى سنة ١٩٥٦ كان نصيب الاخيرة ٥٧٪ من المحصول وازاء هذه الاهمية للبن فان رخاء المستعمرة أو ضيقها الاقتصادى يرتبطان الى حد كبير بالأسعار العالمية للمحصول .

وزاد انتاج السكر الخام من ٥٢٫٠٠٠ طن فى سنة ١٩٥٠ الى ٦٥٫٠٠٠ طن فى سنة ١٩٥٨ بنسبة ٢٥ ٪ وتمثل الصادرات من السكر ما بين ١٠ ، ١٢ فى المائة من الصادرات الكلية .

وصناعة السكر من الصناعات ذات الاهمية الكبرى الاقتصاد لأنجولا والبرتغال ويقوم بزراعة قصب السكر شركتان زراعيتان كبيرتان يسيطر عليهما الأجانب هما شركة السكر وشركة كاسكل

وتمتلك كل من الشركتين مناطق كبيرة مزروعة بالقصب وفى استطاعتهما زيادة المساحة كما أنهما قادرتان على التكرير اذا كان هناك ما يدعو لذلك والسياسة البرتغالية على أية حال هى بيع السكر بأسعار اقل كثيرا جدا من الاسعار السائدة فى السوق الحرة مما يؤدى الى تناقص المساحة المزروعة تناقصا مستمرا وتناقص الكمية المصدرة أيضا وهناك امكانيات لزيادة انتاج السكر زيادة ضخمة ولكن السكر لم يعد من الصادرات الكبرى بسبب السياسة البرتغالية .

ويقوم الافريقيون حاليا بزراعة القطن فى مزارعهم وتشترى الشركة العامة لقطن انجولا « وهى برتغالية » محصول البلاد من القطن فقط فى الزمان والمكان اللذين تحددهما هى نفسها وبالسعر الذى تحدده الحكومة وليس للافريقى أى رأى فى ادارة الصناعة باستثناء زراعة القطن والثمن الذى يدفع للفلاح منخفض للغاية .

ومن المحصولات التى يزرعها الافريقيون القمح ونبات التابيوكا الذى يستخدم لسد حاجة الاستهلاك المحلى . وتحتل حرفة تربية الحيوان مركزا رئيسيا فى الاقتصاد الانجولى وأكبر اهتمام موجه الى الماشية وادخل البرتغاليون تربية الخنازير ولهذا تصدر انجولا مقادير كبيرة من الجلود ، وتغطى الغابات مساحات كبيرة من الارض وبلغ انتاج الاخشاب ٤ر٢ من مليون المتر المكعب فى سنة ١٩٥٠ وصدر منه ٥٠٠ر٥٠٠ متر مكعب .

الثروة المعدنية :

من أهم المعادن « الماس » وكان يعتبر أهم عنصر ولكن أهميته النسبية أخذت تقل بسبب التقدم الكبير فى زراعة البن واصبح

يشغل المركز الثانى بعد المحصول الزراعى وتحتكر صناعة الماس شركة ماس أنجولا المشهورة باسم (ديامابج) وهى من الناحيــة الحقيقية احتكار يسيطر عليه الاتحاد الانجلو أمريكى واتحـــاد كاتانجا العليا Upper Katanga .

ولقد منحت شركة الماس التى أنشئت فى عام ١٩٢١ حقــا مطلقا للتنقيب فى مساحة تزيد على مليون كيلـــو متر مربع وفى العشرينات والثلاثينات سيطرت شركة الماس على اقتصاد البلاد وفى سنة ١٩٢٧ كان نصيبها من الصادرات ٣٦٪ وفى ســنة ١٩٣٥ ارتفعت النسبة الى ٤٥٪ واحتكارها كامل فهى تســيطر على اقتصاد لواندا حيث تعتبر الشركة الصناعية الوحيدة التى تقوم بالعمل هناك .

ولقد ضمن لها القانون ـــ الذى يسمح للشركات الصـــناعية العاملة فى لواندا فقط بتجنيد العمال هناك بصورة فعالة ـــ احتكار العمال .

وتمنح الحكومة الشركة عددا ضخما من الامتيازات فمثلا تعفى الشركة من دفع ضرائب على وارداتها من الآلات والمعدات والمواد ومن ناحية أخرى تمنح الشركة للحكومة قروضا لا تأمل استردادها وعلى ذلك الغى باتفاقية ســـة ١٩٥٥ دين قدرة ١٠٨ آلاف كونتو وارتفع نصيب الحكومة فى رأسمال الشركة من ٦ ٪ الى ١٢٪ .

ولقد صدرت الشركة خلال الفترة من يناير الى مايو سنة ١٩٦١ ماسا قيمته ٣٤٩ مليون اسكودو . وكانت قيمة الماس المصدر فى الفترة نفسها من عام ١٩٦٠ هى ٢٣٥ مليون اسكودو فقط

ومن الواضح أن الزيادة فى الصادرات كانت محاولة لكسب اكبر مايمكن من النقد الاجنبى فى فترة قصيرة كى يمكن الحصول على المدافع وقنابل النابالم الحارقة للقضاء على الافريقيين . وشركة ماس أنجولا بخطوطه لانها تقع بعيدا عن المناطق التى تكتنفها المتاعب وكانت الشركة تدفع ربحا قدره ٢٧٪ خلال السنوات القليلة الماضية برغم أن متوسط أرباحها كان ٢٠٪ فقط ، وشركة ماس أنجولا أهم محتكر فى أنجولا ، وقد سميت بحق (أعظم مشروعات البرتغال) وتبلغ صادراتها اليوم ١٢٪ من جميع الصادرات ولذلك فان الدولة متساهلة معها للغاية فلها وحدها حق التنقيب عن الماس فى أنجولا ، كما أن لها حرسا خاصا زاد زيادة جوهرية هذه الايام وهى تدفع لعمالها أقل أجر يدفع لعمال التعدين فى أى مكان آخر فى أفريقية .

ويتوافر خام الحديد فى أنجولا وبلغ انتاجه ٢٨٣ر٠٠٠ طن فى عام ١٩٥٨ وكذلك اطردت الزيادة فى انتاج المنجنيز حتى وصل الى ٣٨ر٤٩٩ طنا فى السنة ذاتها ولكن الانتاج من النحاس لايزال قليلا اذ لم يتجاوز ٣٢٧٣ طنا سنة ١٩٥٨ وأهم منجم يقع بقرب الحدود الفاصلة بين أنجولا والكونغو .

وأعظم عمل تم فى السنوات الاخيرة كان اكتشاف البترول فى عام ١٩٥٥ على مقربة من لواندا وقدر حين ذاك أنه فى الامكان أن يصل الانتاج الى مليون طن سنويا الا أن الرقم لم يتجاوز ٣٠٠ر٠٠٠ سنة ١٩٥٨ وانه لا يمكن حتى تقدير مدى أهمية البترول فى الانتصار الانجولى مستقبلا ، وقد تم فى سنة ١٩٥٨ انشاء معمل تكرير طاقته السنوية ١٠٠ر٠٠٠ طن وهذا يقتصر عن الوفاء

بحاجة المستعمرة ولهذا تستورد كميات كبيرة من المشتقات البترولية وبالرغم من نفور حكومة سالازار من رأس المال الاجنبى فانهـا اضطرت الى الاعتماد عليه فى الصناعة البترولية وتتولاها الشركة المالية البلجيكية للبترول وأهم المبادىء التى تضمنها الامتياز أن يكون ٥٥٪ من رأس المال فى أيدى البرتغاليين وان يخصص خمسة فى المائة من الارباح الصافية لرصيد الاحتياطى بأنجولا .

أما الصناعة فقد ظلت عنصرا ضئيل الشأن فى اقتصاديات انجولا ثم بدأت تسير فى طريق النمو المحدود جدا نتيجة التوسع فى زراعة بعض المحصولات الصناعية ، الا أن الصناعات مازالت فى مرحلة الابتداء الى حد ما ، واستخدام الاساليب الآلية محدود النطاق كما أن الغرض منها سير حاجة الاستهلاك المحلى الى درجة معينة ، وأهم الصناعات القائمة هى السكر الخام من القصب وحفظ السمك وعمل المنسوجات الصوفية وتقطير النبيذ وعمل السجاير والطباق وانتاج الاسمنت ويلاحظ ان معظم هذه الصناعات يعتمد على الخامات المحلية .

وفى سنة ١٩٦٠ لم يكن ميزان التجارة الانجولية فى مصلحتها للسنة الرابعة على التوالى واستمر نزول أسعار البن ومع ذلك فقد ارتفعت الواردات مرة أخرى بسبب احتياجات مشروع السنوات العشر . وفرضت الحكومة قيودا ائتمانية شددتها مرة أخرى فى النصف الثانى من عام ١٩٦٠ ورفضت هيئة التجارة الخارجية منح تراخيص الاستيراد عدا أهم المواد ومنع المستوردين من ارسال أموال الى البرتغال . وأصبح رجال الاعمال فى وضع خطير بصورة متزايدة من هذه القيود ولم يتمكن الجمهور من تصفية أسهمه لقلة

الاموال ، وكما تقول النشرات الرسمية الامريكية « بالاختصار لايمكن وصف الاعمال فى أنجولا فى الوقت الحاضر بأى شيء آخر سوى أنها فقيرة » .

وليس هذا كل شيء ، فطبيعة الاقتصاد الانجولى غير المستقر قد أثرت بالعكس فى احتياطياتها من العملة الاجنبية فى يناير سنة ١٩٦١ الى ١٥١ر٨٥٦ر١٣ دولارا برغم أنها ارتفعت فى فبراير الى ١٩٣ر٨٨٥ر١٦ دولارا ، هـذه هى ظروف وملابسات المتاعب الاقتصادية التى أدت الى تخفيض مستوى معيشتهم كما أن الدوافع الكامنة للروح الوطنية كانت تقود الافريقيين الى الوحدة .

سياسة الاستيطان :

كان من سياسة البرتغال تشجيع الهجرة الى مستعمراتها الافريقية ولكن جهودها فى هذا السبيل لم تكن منسقة أو منتظمة ، كما أن الظروف المناخية فى أنجولا لم تكن تشجع الكثيرين من البرتغاليين على الهجرة اليها وذلك لم يتجاوز عدد البيض عام ١٩٤٠ (من غير المولدين) ٠٠٠ر٤٤ نسمة ولكن الحركة اشتدت بعد ذلك التاريخ . ففى أنجولا ارتفع عدد المقيمين البيض من ٠٠٠ر٤٤ الى ٠٠٠ر٨٧ ثم بلغ ٠٠٠ر١١٠ فى عام ١٩٥٥ . وكانت أنجولا تجتذب الهجرة اكثر من المستعمرات الاخرى بسبب القرب نسبيا من البرتغال ووفرة فرص العمل والعيش فيها وقد لاحظ سالازار فى عام ١٩٤٣ أن الاراضي الغنية الشاسعة فى المستعمرات غير النامية والتى يقل فيها عدد السكان هى المكمل الطبيعى للزراعة فى الوطن الأم وبخاصة لزراعة المحصولات العادية وانتاج الخامات

للصناعة وبالاضافة الى هذا فانها سوف تستوعب الفائض من السكان .

وتمشيا مع هذه الاهداف وضعت مشروعات التنمية والتوطين التى سبقت الاشارة اليها . وفيما يختص بالامر الاخير لم يعد الاهتمام مقصورا على انشاء مزارع منفصلة ومتناثرة وانما اتجهت سياسة وزارة المستعمرات الى اقامة قرى برتغالية فى مناطق وقع الاختيار عليها فى كل من أنجولا وموزمبيق ويتجمع المستوطنون فى قرى تتكون كل منها من ٢٥ بيتا وتضم كنيسة ومدرسة ويخصص لكل أسرة بيت وعدد من رءوس الماشية ومساحة من الارض للزراعة والرعى قدرها مائة فدان كما تزود بالمقادير اللازمة من البذور وعلى الاسرة أن تعيد الى الحكومة النفقات خلال فترة قدرها ٢٥ عاما .

ويؤخذ على هذا النظام الجديد : —

(أ) أن المبالغ التى رصدت كانت تنفق على مافيه منفعة المستوطنين البيض وحدهم .

(ب) سوف يترتب عليها خلق مراكز برتغالية كبيرة داخل الاراضي الافريقية مما يتيح لها السيطرة على الافريقيين .

(جـ) خصصت للمهاجرين أفضل الاراضي وأصلحها ونفذت المشروعات اللازمة بها فى حين ظلت الزراعة الافريقية موضع الاهمال .

(د) أخذ الفقراء من المهاجرين فى منافسة الافريقيين فى الاعمال والحرف التى كان يزاولها الاخيرون وتدر عليهم بعض أسباب العيش .

(هـ) بمرور الوقت بدأ حاجز اللون فى الظهور وأخذ الشعور به يزداد حدة .

قصة استعمار انجولا :

بدأ البرتغاليون فى القرن الخامس عشر يبعثون بسفنهم للسير بحذاء الساحل الغربى للقارة الافريقية ضاربة فى المحيط الاطلسي نحو الجنوب ـ وذلك كله كجزء من محاولة الوصول الى الهند بطريق مباشر بعيد عن سيطرة البلدان الاسلامية ، وفى عام ١٤٤٦ اكتشفوا غينيا التى تعتبر أقدم مستعمراتهم فى الارض الافريقية وجعلوا منها قاعدة لهم وأصبحت هذه المنطقة مستعمرة مستقلة فى عام ١٨٧٩ وفى عام ١٤٧١ تم اكتشاف جزيرتى ساوتوميه وبرنشيبى الواقعتين فى خليج غينيا على مسافة ١٢٥ ميلا من الساحل الافريقى وسرعان ما راحت ساوتوميه تكتسب أهمية باطراد وتوافدا عليها المهاجرون البيض الذين اجتذبتهم الروايات المترددة عن امكانيات تحقيق الثراء العاجل وأدخل البرتغاليون زراعة قصب السكر ونظرا لنقص الايدى العاملة لسد حاجة المزارع أخذوا يعتمدون على الرقيق ويحصلون عليه من المناطق المواجهة للجزيرة ولم يمض وقت حتى صارت الجزيرة المستودع الاكبر لهذه التجارة الشائنة ولم يعد الامر مقصورا على جلب الرقيق لاغراض زراعة قصب السكر وانما أصبح السلعة الرئيسية التى تبعث بها ساوتوميه الى العالم الامريكى .

وكانت الكونغو فى ذلك العصر يحكمها زعيم يعرف باسم مانيكونغو Manicongo وتضم مملكته منطقة واسعة نسبيا وكانت

مقسمة الى ستة أقاليم تضم أيضا مملكة ندونجو Ndongo وهى المعروفة حاليا باسم « أنجولا » . واستطاع البرتغاليون أن يسيطروا على الكونغو عن طريق التسرب السلمى تحت ستار التجارة والتبشير والتمدين ولعل تفسير ذلك اعتقادهم فى قوة ملك الكونغو وصعوبة استخدام القوة ضده وفضلا على هذا فان من الاعتبارات التى كانت كامنة وراء التوسع البرتغالى الظن بامكان الوصول عن طريق الكونغو الى البلد المسيحى الواقع شرق القارة (أى الحبشة) ورأى البرتغاليون أن التحالف مع ملك الكونغو قد يساعدهم على تحقيق هذا الهدف .

ولكن اهتمام البرتغاليين بالكونغو أخذ يتضاءل بسبب انصرافهم الى محاولات الوصول الى الهند ، وأكثر من هذا أنهم وجهوا عناية كبيرة الى زراعة قصب السكر فى جزيرة ساو توميه وراحوا يأتون اليها بالافريقيين الامر الذى حطم من العلاقات بينهم وبين ملك الكونغو ، وكان من نتائج انصرافهم عن الكونغو نشوء المنازعات الداخلية وغضب الملك على البرتغاليين بسبب تجارة الرقيق لان رجال البعثات التبشيرية انغمسوا بدورهم فى التجارة الشائنة وعمدوا الى ممارسة الرذائل واشباع الشهوات فكانوا يتخذون لانفسهم المحظيات من الافريقيات .

ولما مات الملك فى عام ١٥٤٥ نشبت حروب طويلة بسبب الوراثة وبمرور الوقت تضاءلت أهمية الكونغو حتى كمورد للرقيق اذ انتقل النشاط الاكبر الى أنجولا ، ولم يأت عام ١٦١٥ حتى زالت من الكونغو مظاهر الحياة المسيحية التى نشرها البرتغاليون وهلكت العناصر البيضاء أو امتزجت بالوطنيين وتحطمت وحدة الكونغو

وعادت البلاد الى الحياة البدائية والتأخر واتجه اهتمام البرتغاليين الى انجولا التى أصبحت موردا هاما للرقيق بحيث أطلق عليها عبارة (الأم السوداء) .

الثورة :

لكل شعب احتمال معين فهو مهما عانى من الذل والمهانة فلابد فى يوم يثور وطالما طال صبر مثل هذا الشعب فهو لا محالة منتصر فى النهاية لانه صاحب الحق كل الحق فى ثورته ضد المستعمر الغاصب وضد أساليبه الفاشية فى حكم البلد الذى جاء ليستنزف خيراتها ويذل أهلها . وكان من الطبيعى أن تتجمع وتتراكم عوامل السخط فى المستعمرات البرتغالية حتى تحين الظروف المناسبة لوقوع الانفجار الذى لامفر منه . ومثل هذا الانفجار يرتد أساسا الى الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ولكن عوامل خارجية أيضا كان لها أثرها القوى فى اثارة أبناء المستعمرات البرتغالية ودفعهم الى الكفاح المسلح من اجل الحصول على حريتهم واستقلالهم هذه العوامل يمكن أن تتلخص فى الانتصارات التى حققتها الحركة القومية فى جهات كثيرة أخرى من القارة الافريقية وهى انتصارات كان حتما أن يتردد صداها ، لقد رأى الانجوليون مثلا أن افريقيين غيرهم يشبهونهم فى الكثير ينجحون فى ارغام دول استعمارية كبيرة مثل بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهى أعظم قوة وثراء من البرتغال الصغيرة على الاعتراف لهم بحقوقهم واذن فما حدث فى بلدان افريقية أخرى يمكن أن يحدث فى المستعمرات البرتغالية بل ويجب أن يحدث .

وبالرغم من الستار الحديدى الجبار الذى فرضته السلطات البرتغالية لمنع الافريقيين ، كما خيل اليها من التأثر بمجريات الاحوال فى الخارج فانها أخفقت فى تحقيق هذا الهدف . فالحدود مشتركة بين أنجولا والكونغو وعن طريقها تنتقل الانباء وتتسرب النشرات فعرف أهل الاولى الكثير من التطورات الافريقية والعالمية وسمعوا أيضا بما جرى فى الجمهورية العربية المتحدة وسـمعوا بانباء الحرب الدائرة فى الجزائر وعجز الفرنسيين عن التغلب عليها وكانت صور الرئيسين عبد الناصر وبن بيلا تجد طريقها الى أنجولا وكان كل افريقى تضبط عنده صورة منها يعتبر من أعداء السلطة الحاكمة ويوقع به أشد العقاب .

ولنا أن نتساءل لماذا ثارت أنجولا ؟ الواقع لقد عانت أنجولا العبء الاكبر من مساوئ الاستعمار البرتغالى ومفاسده فكانت المكان الذى استنزف البرتغاليون موارده البشرية فى عهد تجارة الرقيق السافرة ، ولم ينس أهلها تلك الايام السوداء ، فلما ألغى الرق رسميا أحلت البرتغال محله نظاما من السخرة لا يختلف عن الرق الا من حيث الاسم .

واذا كانت أنجولا بمواردها الزراعية والمعدنية موضع اهتمام الرأسمالية البرتغالية وقامت الشركات الاحتكارية الكبرى تمارس مختلف أنواع النشاط ، فان حاجتها مستمرة وواسعة النطاق الى العمل اليدوى الرخيص ، لهذا وقع العبء كله على أبناء أنجـولا ولقوا من جراء ذلك كل صنوف الارهاق والعسف والاذلال مما فصله التقرير السرى لجلفاو الذى سبق أن أوردناه وأكثر من هذا كانت انجولا هى المستعمرة التى اجتذبت العدد الاكبر من المستوطنين

بسبب ظروف خاصة بها وانتزعت السلطات الحاكمة الارض من أبناء البلاد وبخاصة فى الاقليم الشمالى لمصلحة البيض الذين استغلوها فى زراعة البن بوجه خاص .

كذلك كان الوطنيون فى الكونغو وبخاصة بعد حصولهم على الاستقلال ينادون بتحرير شعب أنجولا من السيطرة البرتغالية بل ان ليوبولدفيل كانت المكان الذى لجأ اليه قادة الاحزاب الوطنية فى أنجولا ومن هناك راحوا يزاولون نشاطهم السياسي .

الكفاح الانجولى والحرب :

فى عام ١٩٥٩ ظهر فى أنجولا حزبان وطنيان أحدهما هو حزب اتحاد شعوب أنجولا (أوبا) وكانت أهداف الحزب محدودة وواضحة وهى القتال من أجل استقلال أنجولا والسعى فى تحقيق الوفاق والفهم بين السكان الانجوليين وتنمية المشاعر القومية والوطنية والنضال من أجل الوحدة الافريقية .

وكان أعضاء حزب أوبا حين ذاك على علاقة بحزب الزعيم الكونغولى الراحل الشهيد باتريس لومومبا ، وقد اتخذ الحزب من مدينة ليوبولدفيل مقرا لنشاطه وحملاته على البرتغاليين فى انجولا .

وأفضل الاحزاب تنظيما هو الحركة الشعبية لتحرير أنجولا ورئيس هذه الحركة هو أندريد خريج جامعة السوربون ونائب رئيس الحزب هوينتو وهو يحمل الدكتوراه من لشبونة كما أنه الشاعر الوطنى لانجولا ، وقد اتخذ اندريد مركز قيادته فى كوناكرى .

ولقد أوضح كاريودى أندريد فى مؤتمر الدار البيضـــاء أن الصراع ضد الاستعمار فى أنجولا لا يمكن الا أن يكون صراعا مسلحا ، فالنشاط السياسى سرى فقط وليس هناك طريق لكشف قوة الاحزاب ولذلك يقترح ضرورة اتحاد كل الاحزاب الوطنية وقد أعد اندريد خططه بعناية فشكل جبهة من أحزاب الجناح اليسارى الجبهة الثورية للاستقلال الوطنى للمستعمرات ، وظل الاتحاد مع ذلك بعيـدا عن الجبهة الثورية . وهكذا انقســـمت الحركة الوطنية فى ذلك الوقت الى جناح ثورى وجناح معتدل ومع ذلك فيجب الا ننسى أنهما حزبان وطنيان تؤيدهما أعداد كبيرة من الناس فى كل القبائل .

وبتكون هذه الاحزاب الوطنية وبقيام الحركات الشـــعبية المنظمة قامت للمرة الاولى حركة وطنية فى أنجولا فحتى الآن كانت حركات المقاومة قبلية غير منظمة . وقد استلزم هذا الامر وجود قدرات كبيرة لتنظيم أشد الطبقات تخلفا ليؤلفوا معارضة وطنية فى داخل دولة بوليسية لاتسمح بقيام أى شكل من أشكال النشاط الحر فلم يكن فى البرتغال نفسها أية معارضة لمنظمة سالازار .

وأدرك البرتغاليون فى يناير سنة ١٩٦١ أن الانجوليين كانوا يديرون خطة للاطاحة بالنظام وفى ٣ ، ٤ من فبراير هاجمت جماعة من الوطنيين المسلحين بالمدافع الرشاشة السجون فى لواندا عاصمة أنجــولا وأطلقت سراح عدد كبير من المسجونين السياسيين وبدأت حرب التحرير الانجولية وأدركت البرتغال سريعا مغزى الحادث فأرسلت فى ٧ من فبراير قوات من جنود المظلات المدربين على حرب الادغال .

وبدأت ثورة شمالى أنجولا فى مزرعة من مزارع البن تسمى بريمافيرا بالقرب من سان سالفادور . وامتدت الى كل أرجاء مقاطعة الكونغو ثم الى مقاطعتى مالانج ولواندا ، وفى أوائل ابريل كانت قد امتدت الى نوفاليسبوا وغيرها من المدن الواقعة على الخط الحديدى الممتد من اليزابيث فيل الى بنجويلا .

ولم تفعل المعارضة فى البرتغال أى شيء لعرقلة اجراءات الحكومة وأسرع الحاكم العام تورينز بتوجيه اللوم الى الدول الافريقية والكتل الشيوعية وأعلنت أن الحركة كانت بوحى وايعاز من الشيوعيين وانها لم تلاق تأييد الشعب وأصرت وكالات الانباء البرتغالية على ان جيش التحرير جاء من الكونغو وأنه كان يمون بأسلحة تشيكية ، وأصر الرسميون البرتغاليون طول السنه على أنها حركة موحى بها من الشيوعيين وأن سفن الصيد والغواصات السوفيتية كانت تنزل العملاء الى البر فى خليج النمور ولكن لم يكن هناك أى دليل يؤيد وجود التدخل السوفييتى . وفى نهاية مارس لم تستطع الاستمرار والادعاء بأن الانجوليين لايحاربون وقامت ثلاث فرق مشاة من الجنود الوطنيين بالثورة وانضمت الى المقاتلين من أجل الحرية ووقع البرتغاليون فى مأزق ولم يعد فى استطاعتهم أن يثقوا فى أعوانهم من الافريقيين ومن ثم كان عليهم أن يلجئوا الى قوتهم الجوية .. وفى قتال وحشى استخدمت البرتغال قنابل النابالم الحارقة وألقتها على النساء والاطفال لتفتيت المقاومة واضعافها ، ثم ترك الجيش للقيام بعملية قتل بالمعنى الحرفى للكلمة ، ولجأ الى عمليات الابادة وقد قدر الكتاب الغربيون أنفسهم عدد ضحايا الوحشية البرتغالية بما لا يقل عن مائة ألف

من الافريقيين ويبلغ عدد اللاجئين فى الكونغو بحوالى ١٣٠٫٠٠٠ ممن هربوا من الابادة .

كانت القوات البرتغالية تهاجم القرى الافريقية سواء اشترك اهلها فى الثورة أو لم يشتركوا وتنسفها وتحرقها دون تفرقة بين الرجال والنساء والاطفال ودون اقامة أى وزن للسن أو المرض . وكانت السلطات البرتغالية تأتي بالعمال من مختلف الانحاء للعمل فى مزارع البن من أجل المحافظة على المحصول فاذا بهم ينتهزون أول فرصة للفرار الى الغابات والاختفاء فيها .

وشجع الجنرال « بليزا افراز » الذى أشرف على عملية قتل الافريقيين الجماعية أن الموقف كان تحت سيطرته تماما ولكن المصالح التجارية كانت اكثر أملا ووثوقا ، فقد ادركت أن الثورة ليست سوى صراع من أجل التحرير وانه اذا ما أريد سحقها فانه يجب اذن نقل السلطة الى العاصمة لواندا وسرعة اعلان حالة الطوارىء ومنح القائد العام سلطات دكتاتورية .

وكان هذا فى الواقع طلب لقيام حكم المستوطنين وقيام دكتاتورية عسكرية فى أنجولا ولكن لم تكن هذه هى الازمة الوحيدة التى كانت على سالازار أن يواجهها . ففى لشبونة قامت جماعة من ضباط الجيش بقيادة وزير الدفاع وأعلنت أن الموقف فى أنجولا كان خطيرا للغاية وأن الجيش قد دفع به الى موقف غير محتمل لايستطيع الانسحاب منه دون أن يفقد هيبته ولذلك أرادوا حلا سياسيا ، ولكن سالازار لم يجد صعوبة فى قمع ثورة لم تتم وكانت النتيجة الوحيدة هى اعادة تنظيم الحكومة وأخذ الدكتاتور على عاتقه شخصيا مهام الدفاع .

وبسحق التمرد الداخلى استعد سالازار استعدادا جادا للحرب فسحب الفرقة البرتغالية التى تعمل مع حلف الاطلنطى وأرسلها الى أنجولا وحشدت ثلاث أو أربع طبقات من الاحتياطى لمواجهة الطوارىء وفى الوقت نفسه بدأت البرتغال فى اجلاء النساء والاطفال عن أنجولا واقترح سالازار انتهاز الفرصة لقمع المعركة الوطنية الافريقية باستئصال كل أفريقى متعلم ، ويؤكد سالازار أنه بدون الزعماء المثقفين لن يكون فى استطاعة الحركة الوطنية أن تحافظ على بقائها ، وقد كتب مندوب جريدة الصنداى تلجراف فى ٢٠ من مايو ، يقول : ان المقبوض عليهم يتضمنون مدرسى المدارس والممثلين ، وكل أفريقى متعلم تقريبا ، ولقد كان امتلاك كتاب مبادىء النحو أو جهاز راديو وحتى مجرد دراجة سببا كافيا يؤدى الى اختفاء الانسان .

كان هدف الحملة بسيطا كان هدفها تخليص منطقة البن من الثوار اذ يجلب بن أنجولا معظم النقد الاجنبى للبرتغال واذا نجح الثوار فى وقف جمع محصول البن فان اقتصاد البرتغال سوف ينهار ، فانجولا كما تقرر «التايمز» : **هى نقطة ضعف سالازار وهو لهذا يقاتل دفاعا عن حياته السياسية فالافريقى فى نظر البرتغال حيوان وهو حيوان حقود أيضا لانه عند ما يضرب يستطيع أن يضرب بشدة وعنف لذلك أعلن سالازار أنه يجب القضاء على هذه الحيوانات المتوحشة .**

ولم ينجح هجوم الجيش مع ذلك فى تحقيق أهدافه اذا أتلف معظم محصول البن ، ومع نهاية ابريل كانت البرتغال تواجه حربا عنصرية كبيرة فى أنجولا الشمالية ، ولما كان هدف الثوار هو القضاء

على الاستعمار والاطاحة بالنظام القائم ، فقد ركزوا عملياتهم على تدمير المزارع والقضاء على المستوطنين المنعزلين وقررت البرتغال من جانبها القضاء على سكان أنجولا الشمالية تماما فى الوقت الذى يهتم فيه الانجوليون بالابادة المنظمة .

وقررت الحكومة أن تنشيء بدون تأخير مطارا قرب لواندا ، صالحا لهبوط الطائرات النفاثة ، كما قررت أيضا أن تبنى ممرات للهبوط صالحة لهبوط الطائرات الكبيرة بالقــرب من جميع المدن الكبرى ، وهذا ضرورى اذا ما أريد القاء قنابل بطريقة فعالة .

ولكن لم تكن قنابل النابالم ولا القاء القنابل على النســـاء والاطفال المسالمين له أى تأثير على الحرب . ففى بداية يونيو كانت وكالة الانباء البرتغالية تنقل أنباء النشاط الثورى المتزايد فى أنجولا بل ان نظام سالازار شجع المســـتوطنين البرتغاليين على تسليح أنفسهم وأخذ هؤلاء يثأرون لانفسهم . ففى لواندا وغيرها من المدن بدءوا فى اطلاق الرصـــاص على الافريقيين الابرياء الذين انتزعوا من منازلهم .

وتصف مجلة تايم الامريكية فى عددها الصادر فى ١٩ من مايو الوحشية البرتغالية مع بعض الاسهاب : لقد كان المستوطنون البرتغاليون يطلقون الرصـــاص على الافريقيين كيفما اتفق وبترت أعضاء الكائنات البشرية واحدة فواحدة ، وذكرت جريدة الصنداى تلجراف فى ٢٠ من مايو أن رعب الافريقيين والاقتصاص منهم قد توقف أخيرا ولكن الامر لم يكن كذلك ، فالقوات البرتغالية التى يبلغ عددها ثمانية آلاف كانت تعمل فى ذلك الوقت فى أنجولا بالاشتراك

مع عشرة آلاف من الاحتياطى الافريقى من الجنوب كما أرسلت قوات يقدر عددها بخمسة عشر ألفا وتبلغ القوة الكلية للجيش البرتغالى أربعة وثلاثين ألفا فقط ، وقد تكون الحرب فى أنجولا أمرا فوق طاقتها .

كان البرتغاليون يأملون أن يبقى جنوبى أنجولا دون أن يتأثر بالثورة فى الشمال ، وفى يونيو سنة ١٩٦١ نشط جيش التحرير فى أنجولا الوسطى فهاجم طابور من الثوار مدينة أمبريز الصغيرة التى على بعد ٨٧ ميلا فقط من لواندا العاصمة وهاجم الثوار المدينة لمدة ثلاثة أيام وبرغم أنهم فشلوا فى الاستيلاء عليها فانه وضح للانظار الضعف البالغ للموقف العسكرى البرتغالى ، ولم يكن هذا هو كل شيء ففى منطقة كيمبوندو أيضا ، وهى المنطقة التى اضطر البرتغاليون أن يخوضوا فيها حربا من عدة سنوات ، نشطت فيها أيضا حركة التحرير . وتقول الجارديان : ان مناطق الغابات الكثيفة فى أنجولا الوسطى قد أصبحت مركزا لقتال وحشي .

وقد لاحظ جميع الاجانب ، الذين كانوا فى أنجولا ، الوحشية البرتغالية التى استخدمها الجيش البرتغالى ضد رجال الدين الافريقيين،فقد كان سالازار يشك فى كل رجال الكنيسة الكاثوليكية فى أنجولا لانهم أعلنوا فى رسالة رعوية (أن الكنيسة فى حدود رسالتها تنصح المواطنين أن يتحدوا فيما بين أنفسهم من أجل اعلاء القوانين والنظم والوصول الى حل أكمل) .

ومع ذلك فان البرتغال ـ فوق أن عليها أن تبذل مجهودا كبيرا ـ يجب عليها مراقبة المستوطنين البرتغاليين كما يجب خوض حرب

واسعة النطاق ضد الانجوليين ومحاولة تحقيق هذين الهدفين معا فى الوقت نفسه . فاذا انسحب اى عدد من المستوطنين فانه لايمكن الاحتفاظ بأنجولا وبدون قمع حركة التحرير لايمكن أن تكون أنجولا مأمونة بالنسبة للمستوطنين البرتغاليين .

ويمكن معرفة وحشية الحرب فى انجولا من عدد ضحاياها . لقد استطاع الانجوليون أن يقتلوا مايزيد على الألف برتغالى وكان نتيجةلهذا أن هاجمت القوات البرتغالية الافريقيين بوحشية وقد ترتب على ذلك خلو المنطقة الشمالية تماما من السكان فقد فر كل انسان فيما عدا الشيوخ والعجزة ويقدر عدد الافريقيين الذين اختفوا دون أن يتركوا وراءهم أى أثر بعدد يتردد بين خمسين الفا ومائة ألف بل ان الجمعية التبشيرية قدرت انه فى نهاية يونيو كان قد قتل مايزيد على خمسة وثلاثين الفا من الافريقيين وتذكر مجلة التايم فى عددها الصادر فى ١٩ من مايو سنة ١٩٦١ أن عدد اللاجئين الذين كانوا يدخلون الكونغو يوميا هو ثلثمائة لاجىء أنجولى ، وتختلف التقديرات ولكن يقال مع التحفظ أن خمسين ألف لاجىء أنجولى قد وصلوا الى الكونغو فى مايو سنة ١٩٦١ وينبغى الا ننسى أن العدد الكلى لسكان انجولا هو حوالى أربعة ملايين ونصف مليون فقط وأن المقاطعتين الشماليتين ليس بهما من السكان مايزيد على مليون وهكذا فان نسبة تتردد بين سدس وثلث السكان فى شمالى أنجولا اما أبيدت أو طردت من أوطانها .

ولكن : هل نجح البرتغاليون فى القضاء على الثورة ؟ يجيب على هذا السؤال الصحفى الانجليزى كافن ينج (Cavin young)

بالعدد الصادر من صحيفة الأوبزيرفر فى ٢٠ من أغسطس سنة ١٩٦١ فيقول : ان الجنس البرتغالى يقتصر عمله على مراكزه فى النهار محاولا اعادة المواصلات بين الشمال والجنوب التى قطعت حين دمر الوطنيون الكبارى والجسور .. وما زال البرتغاليون لا يسيطرون على الجانب الأكبر من المناطق الريفية وهم يكتفون بمراقبتها من الجو .

ومن العجيب أن البرتغاليين لما عجزوا عن اللحاق بالقوات الوطنية كانوا يلقون القنابل الحارقة وغيرها من الطائرات على الغابات حتى يحرقوها بمن يكون مختبئا فيها .

ويرجع عجز البرتغاليين عن اخماد الثورة الى عوامل متعددة فى مقدمتها أن الوطنيين لا يلجئون الى الاشتباك السافر مع العدو وانما يستخدمون أسلوب حرب العصابات البالغ الخطر على القوات النظامية فهم ينقضون عليه فجأة فى الطرق وفى المراكز التى ينحصر فيها ثم يختفون فجأة قبل أن يفيق البرتغاليون من ذهولهم . والميزة الثانية أن البلاد ملأى بالأحراج والادغال والاعشاب الطويلة وفيها يختفى المجاهدون ولا يستطيع العدو اكتشاف أماكنهم بل ان طائراته نفسها تعجز عن ذلك .. انهم — بخلاف عدوهم — يعرفون هذه المناطق معرفة وثيقة ويلمون بمسالكها ودروبها وفضلا على هذا يجب أن نضع فى المكان اللائق من الاعتبار ما يتصف به الوطنيون من وطنية وكراهية **للعدو الذى يسومهم العذاب ، وحماس وتصميم على الكفاح . ويحدثنا ((جافن)) المواطن الانجولى وهو شاب فى الرابعة والعشرين وهو من أحد رجال المقاومة قائلا ((طالما هناك أنجوليان اثنان وطالما هناك بذرتان من الفول السودانى فى**

الارض لطعامهما فسوف يستمر القتال من أجل الاستقلال » .

ولكن يجب أن نشير الى الصعاب التى يواجهها الوطنيون وفى مقدمتها افتقارهم الى مقادير كافية من الاسلحة والذخيرة وهنا يقع العبء على عاتق الدول الافريقية المتحررة ، وهذه كلهـا لن تتأخر فى تقديم العون والمساعدة لشـعب أنجولا وقرارات مؤتمر أديس أبابا تضمنت ذلك ، وقد بدأت دول افريقية فعـلا بتنفيذ تلك المقررات الخاصة بمقاومة الاستعمار فى القارة الافريقية .

البرتغال فى موقف سيىء :

بالرغم من الحرب المتوحشة التى تشنها البرتغال على اخواننا الافريقيين فى أنجولا ، فان انتصارهم سوف يتحقق شاءت البرتغال أو لم تشأ : —

١ — ان البلاد واسعة الارجاء فكلما قلنا ان مساحة أنجولا مثـل مساحة البرتغال ١٤ مرة والثـورة تشتعل فى كل مكان فى الشمال والجنوب والوسط ولا تستطيع البرتغال الصغيرة أن تجد الموارد البشرية التى تمكنها من الاشتباك فى حرب طويلة الأمد سوف تستنفد حتما قوتها .

٢ — والحالة متوترة جدا فى موزمبيق وتنذر بالتطور الى انفجار آخر ، الامر الذى يضطر البرتغال الى تقسيم جهودها وقواتها وهذا فى الواقع يزيد عن طاقتها .

٣ — التأييد القومى للوطنيين الانجوليين من جانب الدول الافريقية والآسيوية والدول الاخرى المحبة للسـلام وقد تجلى ذلك

بصورة واضحة فى الامم المتحدة وفى مؤتمر القمة الافريقى الذى عقد فى أديس أبابا فى مايو عام ١٩٦٣ .

٤ ــ ازدياد المعارضة فى صفوف المستوطنين أنفسهم لسياسة الحكومة البرتغالية بل ان هناك فريقا منهم ومن معارضي سالازار فى البرتغال نفسها يريد استغلال انجولا وتحويلها الى برازيل أخرى أملا فى أن يتمكنوا بذلك من التفاهم مع الوطنيين والمحافظة على مصالحهم .

٥ ــ اشتداد المعارضة فى داخل البرتغال نفسها لحكومة سالازار كما أن معارضيه اللاجئين فى البلاد الاجنبية يشنون حملات عنيفة ومنظمة ضد نظامه فى الحكم .

الا أن اكبر خطر يتعرض له سالازار قد يأتى من ناحية الجيش الذى يعارض الكثير من قواده نظام الحكم بسبب المتاعب التى تعرضت لها البلاد فى مستعمراتها وبسبب مايبدو على الاقتصاد البرتغالى من علامات التدهور . وتضم المعارضة كذلك بقايا النظام الجمهورى القديم الذى كان قائما فى البلاد قبل أن يستولى سالازار على مقاليد الحكم .

وهكذا يتضح أن حكومة سالازار تتعرض الآن للمعارضة من جانب عناصر كبيرة من الشعب البرتغالى وكانت فى الاصل من أشد أنصاره وفى الانتخابات الاخيرة أسفرت المعارضة عن ثقتها علنا ، فطالبت باخراج سالازار ومنح الممتلكات البرتغالية حق تقرير المصير وطالبت بتأليف حكومة جديدة تمثل جميع الاتجاهات فى البلاد .

٦ — وترتب على الثورة فى أنجولا خسائر اقتصادية فادحة فقد دمر الوطنيون الجانب الاكبر من محصول البن الذى هو عماد ثروة المستعمرة ، كما أحرقوا معظم اشجار هذا النبات . أضف الى هذا أن التدابير العسكرية التى اتخذتها حكومة البرتغال لمواجهة الثورة كانت بدورها عبئا كبيرا على البلاد فخلال الستة أشهر الاولى من عام ١٩٦١ هبطت احتياطات البلاد من ٢١ر٢٠ مليون سكودو (١) الى ٣٠٦ر١٧ وزاد النقد المتداول من ٢٥٧ر١٤ الى ٢٤٦ر١٦ مليون سكودو خلال الفترة ذاتها .

٧ — لاشك أن طرد البرتغال من جوا فى الهند أخيرا حطم هيبتها وسوف يكون حافزا للافريقيين على مضاعفة جهودهم .

على ضوء هذه الاعتبارات جميعا لا مفر من خروج البرتغال من أفريقية ان لم يكن اليوم ففى الغد القريب وحول هذه النهاية تحدث مراسل جريدة الأوبزيرفر فقال :

« ان تصميم أهل أنجولا الذى تدعمه كراهيتهم للعدو ويضاف اليه الميزة الطبيعية الناجمة من حرب العصابات على القوات النظامية نقول ان هذا سوف يؤدى فى النهاية الى انسحاب البرتغال والزمن فى جانب أهل أنجولا ، انها مسألة وقت فقط قبل أن يأتى العون من الخارج اليهم » .

---

(١) ٨٠ سكودوا = جنيه استرلينى .

مشكلة
انجولا
دوليا

مشكلة أنجولا دوليا

لقد أحدثت الوحشية البالغة التى استخدمها البرتغاليون ضد الوطنيين فى أنجولا دويا هائلا فى كل مكان ، وقد شعر الضمير العالمى الحر بسخط شديد من جراء ماقام به البرتغاليون من مذابح وحشية قاسية وراح ضحيتها عشرات الالوف من الاهلين والتى كانت فى الواقع عملية ابادة بالجملة .

وقد تأثرت البلدان الافريقية تأثرا بالغا بسبب هذا العدوان الغاشم على شعب أعزل لم يقترف ذنبا سوى المطالبة بحقه فى تقرير مصيره بنفسه واحترام حقوقه وحرياته الاساسية . وثارت الدول الآسيوية التى سبق لها أن خبرت وحشية الاستعمار وظلت تكافحه حتى انتزعت حريتها واستقلالها ، والى جانب هؤلاء جميعا انحازت الشعوب المحبة للسلام والمعادية للنظام الاستعمارى .

الامم المتحدة :

لقد سبق أن اتخذت الجمعية العامة للامم المتحدة فى ١٤/١٢/١٩٦٠ قرارا بمنح البلاد المستعمرة استقلالها وقد لاقى هذا القرار تأييدا من ثلاث وأربعين دولة افريقية وآسيوية كما أنه اتخذ بدون معارضة .

وبناء على هذا القرار تقدمت الجمهـــورية العربية المتحدة وليبيريا وسيلان اقتراحا لمجلس الامن تطالب فيه بالاصلاحات فى أنجولا والاحترام اللازم لحقوق الانسان والحرية الاساسية وتعيين لجنة فرعية للتحقيق فىالموضوع ، وطلبت الدول الثلاثبحث الموقف فى أنجولا لانه يحمل فى طياته امكانيات (الاحتكاك الدولى) الذى يعرض السلام والامن الدوليين الى الخطر .

وتحدث السيد / عمر لطفى مندوبالجمهورية العربية المتحدة فأعلن أنه اذا رفض المجلس ادراج مسألة أنجولا فى جدول الاعمال فانه بذلك يكون قد تخلى عن النهوض بمســئولياته والاضطلاع بوظائفه واستخدام السلطات التى أضفاها عليه الميثاق ، وأرسل الدكتور فاســكوفيرا جارين مندوب البرتغال خطابا الى رئيس المجلس ذكر فيه أن الموضوع يتعلق بأمر يدخل فىاختصاص حكومة البرتغال وحدها وأشار الى أن الطلب الذى تتقدمت به الدول الثلاث ينطوى على اغفال للمادة الثانية (فقرة ٧٥) من الميثاق وأن هذا التصرف من جانبها اذا نجح فسوف يخلق سابقةخطيرة تنطوى على أخطر النتائج بالنسبة الى جميع أعضاء الامم المتحدة .

وأخيرا وبعد مناقشات طويلة حول هذه الناحية القانونية قرر المجلس ادراج مسألة أنجولا فى جدول الاعمال ولما بدأ المجلس نظر المسألة تقدمت سيلان وليبيريا والجمهورية العربية المتحدة بمشروع قرار يتضمن :

١ ــ تشكيل لجنة لبحث الموقف فى أنجولا ورفع تقرير عنــه الى المجلس .

٢ ــ مطالبة البرتغال بأن تنظر على وجه السرعة وأن تتخذ التدابير والاصلاحات فى أنجولا بقصد دعم قرار الجمعية العــامة الصادر فى ١٤ من ديسمبر سنة١٩٦٠ بشأن الاستعمار (مع المراعاة الواجبـــة للحقوق الانسانية والحريات الاساسية وطبقا للميثاق) .

موقف البرتغال :

وتحدث الدكتور جارين فقــال : ان الحاح ليبيريا فى ادراج مسألة أنجولا تدخل فى صميم أمن البرتغال الداخلى كان (مفاجأة كبيرة) لحكومته وقال ان هذا التصرف ينطوى على سخرية للفكرة الكامنة فى أساس الامم المتحدة نصا وروحا ووصف ادراج المسألة فى جدول الاعمال بأنه غير قانونى وسخيف وخلص الى أن المجلس اذ يتناول المسألة انما يتعدى حدود اختصاصه .

وانتقل جارين الى (مايقال عنــه) أزمة أنجولا فقال : ان الاضطراب الــذى وقع فى العاصمة لواندا لم يسبقه أى قلــق أو تظاهرمن أى نوع وان الذين اشتركوا فيهبعض المهيجين والمأجورين ممن لايمكن أن يمثلوا أى فريق من السكان الذين آزروا السلطات فىالقضاء على مثيرى الشغب ، ثم تساءل : هل المجلس حينيشغل نفسه بمثل هذه المســألة يقبل مبدأ جديدا وهو أن المحافظة على الأمن العام فى مدن بدون أعضاء ذات سيادة لا تدخل أساسا فى نطاق القضاء الداخلى لهذه الدول ، وأعلنت أن هذا المبدأ يعتبر بالنسبة الى كل دولة فكرة ثورية وسوف يســفر عن نتائج لايمكن تصورها لانه يفسح المجــال أمام جميع أنواع التدخل من جانب المنظمة الدولية بقصد الدعاية السياسية .

وهاجم مندوب البرتغال ما أسماه بالتقارير الصحفية غير النزيهة والصور الفوتوغرافية المزورة وكذلك أنكر أن البرتغال يمارس السخرة فى انجولا أو أنها تستغل أهلها ، ويلاحظ على البيان الذى أدلى به مندوب البرتغال أنه ينكر على الامم المتحدة حق التدخل في موضوع أنجولا على اعتبار أن هذا البلد جزء من البرتغال وهذه النظرة كانت تماثل وجهة النظر الفرنسية بصدد الجزائر .

ولنا أن نتساءل : من الذى قرر أن أنجولا جزء لا يتجزأ من البرتغال ؟ وهل أبدى الشعب الافريقى رأيه فى ذلكالتنظيم وأقره ؟ الثابت أن الامر فرض علىهذا الشعب فرضا ودون ارادته منجانب القوة الاستعمارية وكيف تكون أنجولا جزءا من البرتغال والبلدان مختلفان فى كل شيء وليس لاهل أنجولا كلمة واحدة فى ادارة الشئون العامة . وهذه النظرية لم تعد لها قيمة فقد كانت فرنسا تصر على أن الجزائر جزء من أراضيها ولكنها بفضل كفاح أبنائها استطاعت ان تثبت كذب هذا الادعاء وأصبحت بالفعل دولة مستقلة ذات سيادة لا يربطها بفرنسا أى شيء .

وأنكر المندوب البرتغالى الاتهامات المتعلقة بالتمييز العنصرى والسخرة فى الوقت الذى يقوم فيه نظام الحكم على أساس هذين المبدأين وان تقرير جلفاو الذى سبق أن أوردناه فى فصل سابق ليؤكد كل هذه المظاهر ويصف السياسة البرتغالية بكل نقائص العقلية الاستعمارية المتوارثة من عهد الرق .

وادعى المندوب البرتغالى أن الاضطرابات التى وقعت فى لواندا العاصمة الانجوليةقامت بها عصابات صغيرة مأجورة وواقعة

تحت تأثير عناصر أجنبية والادعاء بأنها عصابات صغيرة زعم تنقضه تماما الثورة التى نشبت فى البلاد والتى سوف تؤدى حتما الى زوال الاستعمار البرتغالى الغاشم .

وقد نقل رأى الجمهورية العربية المتحدة السيد \ عمر لطفى فقال : بضرورة ايجاد حل حاسم وسريع لهذه المشكلة الاستعمارية التى قد يؤدى استمرارها الى نتائج سيئة ويحسن أن يكون الحل بالتعاون مع الدول الاعضاء والبرتغال وأعرب عن أمل وفد بلاده فى أن تستجيب البرتغال لقرار الجمعية العامة بشأن تصفية الاستعمار .

وقال مندوب سيلان : ان لشعب أنجولا حقا فى تقرير مصيره والحرية لايمكن أن تتجزأ ، فبينما تسير حركات الحرية قدما وتستولى على سلطان الدولة فى كل مكان آخر بأفريقية فان البرتغاليين يخضعون انجولا بيد من حديد ومن المستحيل عزل انجولا عن المد القومى فى بقية افريقية الامر الذى تواجهه البرتغال بتحويل أنجولا الى معسكر مسلح وأضاف انه اذا تدهور الموقف الى حالة اشد خطورة فعلى البرتغال أن تتحمل المسئولية كاملة عن النتائج .

وشن فاليريان زورين مندوب الاتحاد السوفيتى هجوما عنيفا على الاستعمار البرتغالى فقال : ان جميع النشاط السياسي فى انجولا يمنع بغير رحمة وانه لايصرح بقيام اى تنظيم ديمقراطى وتحدث عن التمييز العنصرى فقال : ان المواطن فى البرتغال يتمتع (على الورق) بحقوق مدنية أما فى انجولا فلا يملك الافريقيون حتى هذه (الحقوق الورقية) وأضاف قائلا أما عن السخرة فخلافا لما أدلى

به المندوب البرتغـالى فان صحيفة أمريكية ذكرت فى ٤ من مارس سنة ١٩٦١ أن ٢٥٠,٠٠٠ من الانجوليين يؤجرون أنفسهم سنويا للسلطات كأنهم ليسوا من البشر اطلاقا وذلك للعمل عند شركات الزراعة والتعدين ، والسخرة مطبقة حتى على الاطفال وطبقا للأرقام التى نشرتها الامم المتحدة يبلغ متوسط دخل الفرد فى أنجولا ١٠٠ دولار فى السنة ومن هذاالمبلغ الذى يدعو الى السخرية يدفع الافريقى عشرة دولارات ضريبة دخل .

وكانت أكبر مفاجأة ان لم تكن أكبر صدمة للبرتغال تأييد الولايات المتحدة الامريكية لمشروع القرار المعروض على المجلس فقال المستر أدلاى ستيفنسون : ان من سداد الراى أن ينظر الى الاضطرابات فى لواندا على ضوء التغييرات الحاسمة فى افريقية خلال السنوات الأخيرة ، وما من شك أن لشعب أنجولا الحق فى جميع الحقوق التى يضمنها لهم الميثاق ، وهو الحق فى الفرصة الطليقة لتنمية امكانياتهم الاقتصادية والسياسية والثقافية الكاملة .

وفى ١٥ من مارس سنة ١٩٦١ تم التصويت على القرار فى مجلس الامن ولكنه فشل فىالحصول على الاغلبية وان كان أصدقاء البرتغال لم يؤيدوها وانما امتنعوا عن التصويت فقط .

وكانت الخطوة التالية التى اتخذتها المجموعة الافريقية الآسيوية هى ادراج قرار الدول الثلاث فى جدول أعمال الجمعية العامة .

وفى ٦ من يونيو سنة ١٩٦١ بدأ مجلس الأمن فى مناقشة الموقف فى أنجولا وهاجم الاعضاء الافريقيون والآسيويون البرتغال

بشدة ولم يؤيدها فى هذه المرة أيضا أصدقاؤها ولكن امتنعوا أيضا عن التصويت وهكذا أصدر مجلس الامن فى ٩ من يونيو بأغلبية تسعة أصوات وبدون معارضة القرار التالى :

١ – يؤكد تأثير قرار الجمعية العامة رقم ١٦٠٣ الدورة الخامسة عشرة ويطلب من البرتغال أن تعمل وفقا لنصوص ذلك القرار .

٢ – يطلب من السلطات البرتغالية الكف فورا عن اتخاذ اجراءات القمع وفضلا على ذلك أن تقدم كل تسهيل الى اللجنة الفرعية لتمكينها من القيام بمهمتها بسرعة .

وفى عام ١٩٦٢ أصدرت الامم المتحدة قرارا يطالب البرتغال بمراعاة التزاماتها ازاء الميثاق وازاء قرارات الجمعية العمومية وناشدت جميع الدول الاعضاء منع أية معونة أو مساعدة تستخدمها البرتغال لكبت شعور الاقاليم التى تقع تحت ادارتها .

وأصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة قرارها الواضح يوم ٣٠ من يناير عام ١٩٦٢ وأعلنت فيه أن استمرار البرتغال فى رفض اعترافها بالامانى المشروعة لشعب أنجولا يشكل مصدرا دائما للاخلال بالامن الدولى ويهدد السلام واستنكرت الجمعية العامة بشدة التدابير الهمجية والاعمال المسلحة ضد شعب أنجولا وانكار حقوق الانسان .

وفى ١٩ من ديسمبر عام ١٩٦٢ طلبت الجمعية العامة من مجلس الامن اتخاذ جميع الاجراءات لكفالة تنفيذ البرتغال لالتزاماتها ازاء الجمعية العامة .

وبرغم محاولات الامم المتحدة المتكررة للضغط على البرتغال في منح شعوب مستعمراتها الحكم الذاتي وتحريرها برغم كل هذا ، فالبرتغال تراوغ وتتنصل بل أكثر من هذا فان سالازار الدكتاتور رفض السماح بالدخول للجنة الفرعية التابعة للأمم المتحدة للقيام بعمل تحقيقات وتسلم مستندات عن الحالة الراهنة في تلك المستعمرات .

ان شعب أنجولا لابد أن ينتصر فهو شعب مكافح مناضل لاتنقصه العزيمة ولا يفتقد الايمان .. أن شعب الجزائر الذي ضحى بمليون شهيد لم تثنه عن عزمه كل الألاعيب الاستعمارية وكم من قرارات اتخذت لصالحته في هيئة الامم المتحدة ولكن دون جدوى فقد كانت فرنسا تضرب بهذه القرارات عرض الحائط وأخيرا اضطرت أن تعترف بهيئة التحرير الجزائرية وتدخل معها في مفاوضات مباشرة أدت الى حصول الجزائر على استقلالها برغم ادعاء فرنسا الدائم بأن الجزائر جزء لايتجزأ من أراضيها ، وشعب أنجولا سوف يحقق استقلاله بقوته وعزيمته وسلاحه وبمساعدة الشعوب الافريقية المتحررة وسوف يجبر حكام البرتغال على المثول أمام زعمائه المناضلين كما أجبر بن بيللا ورفاقه ديجول على منح الجزائر استقلالها .

السخط في .. موزمبيق

اذا كانت أنجولا تحترق وسط النيران فان موزمبيق عبارة عن برميل بارود بجواره عود ثقاب مشتعل وأدركت لشبونة هذا .

السخط ..
فى
موزمبيق

مستعمرة موزمبيق البرتغالية تحدها من الغرب محمية سوازيلاند واتحاد جنوب افريقية وروديسيا الشمالية ونياسالاند وبحيرة نياسا . وعند ديلاجوا باى (DelagoaBay) يقل عرض البلاد عن خمسين ميلا ثم يأخذ فى الازدياد كلما اتجهنا صوب الشمال بحيث يصل الى نحو ٤٠٠ ميل ، ويبلغ طول الساحل ١٤٣٠ ميلا وبجواره عدة من الجزر المرجانية ، وتقوم طائفة من الموانى الطبيعية الجيدة ، ومساحة موزمبيق ٧٨٣٣٠ كيلومتر مربع ، ويبلغ عدد سكانها طبقا لاحصاء عام ١٩٥٠ حوالى ٥ر٧٣٨ر٩١١ نسمة .

وتوجد فى مناطق كثيرة منها الغابات بجوار الانهار وفى السلاسل الجبلية التى فى الشمال تنتشر أشجار النخيل وجوز الهند على طول الساحل ومن الاشجار الأخرى السدر والابنوس واللبخ والبامبو ، وتستخدم بعض أنواع الاخشاب لاغراض البناء وصنع الاثاث ، ويزرع الاهالى عددا من المحصولات التجارية مثل قصب السكر والقطن والفواكه .

أهمية موزمبيق الاقتصادية :

تعتبر موزمبيق مثل انجولا تماما من حيث درجة تخلفها الاقتصادى والفقر بالقياس الى غيرها من البلاد الافريقية ، وكما قلنا سابقا ان هذا التخلف الاقتصادى والفقر المدقع يرجع أولا الى تخلف البرتغال نفسها اقتصاديا ، وتعتمد اقتصاديات موزمبيق أصلا على زراعة المحصولات ذات القيمة فى التجارة الخارجية مثل الموز والشاى وقصب السكر والقطن .

الزراعة :

وتعد الزراعة فى مستعمرة موزمبيق المهنة التى تزاولها الغالبية الساحقة من الافريقيين ، غير أن جانبا كبيرا من المحصولات يجرى انتاجه فى المزارع التى يملكها البيض وبخاصة الشركات الكبيرة ، ويحتكر الاوربيون حرف الصناعة والنقل والتجارة والخدمات .

ولا تختلف الزراعة الوطنية فى جوهرها عن الظروف السائدة فى انجولا ، ويزرع الافريقيون الذرة والدخن الا أنه يلاحظ فى حالة بعض المحصولات التجارية التى يزرعها الافريقيون أن الحكومة تحدد الاسعار التى يتم البيع بها وهى فى العادة أقل مما كانوا يحصلون عليه لو ترك الامر للمنافسة .

ويمثل السكر السيسال الجزء الاكبر من انتاج موزمبيق وصادراتها وأهم مناطق انتاجها المزارع الواسعة التى جعلت الامتيازات بشأنها الى شركات كبيرة رأسمالها ذو طابع دولى ،

وهذه المزارع تتركز بصفة خاصة فى المناطق الساحلية وتشغل موزمبيق المركز الثالث فى القارة الافريقية من حيث انتاج السيسال. وتمثل موزمبيق مانسبته ٦ر١ فى المائة من الانتاج الافريقى والسيسال من العناصر الرئيسية فى الصادرات . وزاد انتاج السكر الى الضعف تقريبا خلال الخمسينات من القرن الحالى وتمثل الزيوت والنباتات الزيتية ٢٤٪ من صادرات موزمبيق . ويزرع الشاى فى المزارع الكبيرة بالمرتفعات فى جورى وميلانج ، وفى السنوات الاخيرة زادت أهمية الموالح والموز بوصفها من المحصولات المعدة للتصدير .

أما الثروة الحيوانية فهى تقدر بحوالى ٨٤١٫٠٠٠ رأس من الماشية على حسب احصائية عام ١٩٥٧ ، ويبلغ مقدار الاخشاب التى قطعت من الغابات ٥٢٠٫٠٠٠ متر مكعب فى عام ١٩٥٦ وصدر منها نحو ٢٤٠٫٠٠٠ متر مكعب .

الثروة المعدنية :

الفحم يعتبر من أهم المعادن ، وقد قدر الاحتياطى منه فى سنة ١٩٥٦ بحوالى مائة مليون طن ، وبلغ ما أنتجته موزمبيق عام ١٩٥٧ حوالى ٢٧٠٫٠٠٠ طن ، وبالرغم من ذلك زادت واردات البلاد من الفحم ، والفحم الكوك من ١٢٧٫٠٠٠ طن سنة ١٩٣٨ الى ١٣٨٫٠٠٠ طن عام ١٩٥٠ وارتفع الى ٢٦٢٫٠٠٠ طن عام ١٩٥٧ .

وتنتج موزمبيق مقادير بسيطة من البوكسيت والانتيمون .

الصناعة :

لم تشهد موزمبيق أى تقدم صناعى الا فى الفترة التى اعقبت انتهاء الحرب العالمية الثانية ، فخلال الفترة من عــام ١٩٥٠ الى ١٩٥٦ زاد انتاج الخمــور من ٦٠٠٠ الى ٥٠٫٠٠٠ (هكتولتر) والسجائر من ٢٦٤ الى ٨٢٠ مليون ســيجارة والاســـمنت من ٢٤٫٠٠٠ طن الى ١٣٧٫٠٠٠ طن عام ١٩٥٨ .

وبالرغم من هذا الذى ذكرناه عن أهمية كل من أنجـــولا وموزمبيق الاقتصادية مازال الموقف الاقتصادى فى أنجولا وموزمبيق سيئا وذلك لعدة أسباب :

(أ) ارتفاع الرسوم الجمركية مما يعرقل التنمية الاقتصـادية ويؤدى الى ارتفاع تكاليف المعيشة التى تضـــاعفت فى السنوات العشرين الاخيرة .

(ب)الاعتماد كلية على الصناعة الاجنبية المحتكرة .

(جـ) انخفاض القوة الشرائية للافريقيين بسبب الضرائب العالية الدخول والاجور المنخفضة ، ففى سنة ١٩٥٦ كان الاجـــر الادنى للعـــامل الزراعى فى موزمبيق يتردد بين دولارين وثمانية دولارات أمريكية فى الشهر وللعامل الصناعى بين ٢. و ١٠ دولارات .

(د) فرض حد أعلى لأثمان المنتجـــات الزراعية يسيء الى الزراع الوطنيين .

(هـ) صعوبة الحياة بالنسبة الى فقراء المهاجرين وأعظم الدخول للموظفين فى الحكومة والشركات .

سياسة الاستيطان فى موزمبيق :

من الظواهر التى ظلت تسترعى النظر حتى القـــرن الحالى مسألة هجرة البرتغاليين الى مستعمراتهم فى أمريكا اللاتينية كما فعلوا فى البرازيل مثلا ويرجع الامر الى أسباب عدة منها :

١ ــ قلة عدد سكان البرتغال نفسها بحيث لم يكن فى امكانها أن تبعث بعدد كاف منهم الى كل من مستعمراتهـــا فى العالم الجديد وأفريقية .

٢ ــ اتجاه المهاجرين الى البرازيل حيث تكشفت لهم امكانياتهـــا الزراعية بصفة خاصة .

٣ ــ شدة مقاومة السكان الافريقيين وكانوا أكثر عددا من سكان المناطق التى استعمرها البرتغاليون فى أمريكا الجنوبية .

٤ ــ كان استعمار موزمبيق نتيجة لجهود البرتغال بالنسبة الى التجارة الشرقية فلما تدهور مركز البرتغال واحتكارها قل الاهتمام بالمستعمرة وخاصة انهـــا لم تكن من الأقاليم التى تنتج المعادن النفيسة .

٥ ــ بسبب عداء الافريقيين والمنازعات الطويلة التى نشبت بين الفريقين لم يحاول البرتغاليون التوغل فى الداخـــل وتنمية موارد البلاد الزراعية .

٦ ــ تضارب مصالح وأهداف البرتغاليين هناك من التجار وأصحاب المزارع الواسعة ورجال البعثات التبشيرية .

ولهذا ظلت موزمبيق المكان الذى تبعث اليه البرتغـــال

بالمجرمين والمنفيين السياسيين فكانت تصـــل فى كل سنة سفينة تحمل المتسولين واللصوص والقتلة والمجرمين السياسيين وكل من كان يعانى شظف العيش فى بلاده ، وكان هؤلاء جميعا يعـــرفون باسم (Degradados) أى (المنحطين) فكأن غالبية البيض فى المستعمرة ظلت حتى القرن الحالى من حثالة المجتمع البرتغـــالى التى لا ينتظر من أفرادها أن يكونوا حملة حضارة يراد نشرها فضلا عن سوء أخلاقهم الامر الذى تجلى فى معاملتهم القاســـية لأبناء البلاد مما كان من أكبر أسباب العداء ، وفى الوقت نفســـه تنطبق الظاهرةعلى النساء اللائى كن يتوجهن الى المستعمرة ، فالمرأة البرتغالية من الفلاحين أو الطبقة الوسطى لم تشأ السفر الى هناك والاقامة ، ولذلك كان الافراد الذين ترسلهم البرتغال سنويا يتزوجون قبل ابحارهم فتيات من دور اليتامى والاصلاحيات ، ونظرا لعـــدم كفاية العنصر النسائى بحيث لم يكن فى لورنزو مركيز سوى امرأتين برتغاليتين فى عام ١٨٨٧ ، عمـــــــد المستوطنون الى التزوج من الافريقيات . وبمرور الوقت أصـــــبح المولدون أو الملونون العنصر الغالب فى البلاد ، وهؤلاء فئة لاتدين بولاء حقيقى لأحد ، ولا تحترم قانونا ولا تعرف الا مصالحها الذاتية كما كانت موضع الكراهية من جانب الافريقيين والاحتقـــار من ناحية البرتغاليين الخلص ، الا أن البرتغال نجحت فى اجتذاب عدد كبير من الهنود الذين وفدوا الى الموانى للتجارة ، كما أخذ التاجر الهندى يزاول الحرفة نفسها فى الداخل ويجمع الثروات الـــــكبيرة وتزوج هؤلاء من الافريقيـــات وامتزجوا بالسكان .

ولم يعد الامر مقصـــــورا على التجارة بل أخذوا يتملكون

مساحات واسعة من الاراضي ، وأصبحوا من السادة الاقطاعيين أو كبار أصحاب المزارع . ولقد كان البرتغاليون يحقدون عليهم وعلى ثرائهم الا أنهم كانوا العنصر الذى نقل سلطات البرتغال الى الداخل وعاون فى كشف المناطق الداخلية .

قصة استعمار موزمبيق :

فى مارس عام ١٤٩٨ وصل فاسكوداجاما الى ميناء موزمبيق وكان شيخ الجزيرة يعترف بسيادة سلطان « كلوه » ودمر داجاما الميناء فى ٢٧ من الشهر نفسه ، ثم اتجه شمالا الى ماليندى التى لم تشأ أن تقف موقف العداء من البرتغاليين، اما للخوف من قوتهم أو بسبب النزاع بينها وبين كلوه وممباسا .

وتضمنت التعليمات الصادرة اليه انشاء فندق فى سفالة ليرد اليه الذهب من الداخل واخضاع كلوه وممباسا وطرد السفن العربية من شاطىء افريقية الشرقى باستثناء ماليندى الموالية للبرتغال ، وهاجم الميدا كلوه وأقام فيها حصنا عرف باسم سنتياجو ووضع فيه حامية ثم عمد الى تدمير ممباسا ، ولكن لم تمض سنوات قلائل حتى اضطر البرتغاليون الى أن يهجروا الحصن الذي أنشئوه فى كلوه ، وفى عام ١٥٢٨ استردت ممباسا معظم قوتها مما حمل البرتغاليين على تدميرها ، وبالرغم من ذلك كله ظل العرب يمارسون عن طريق التهريب تجارة واسعة النطاق بين الساحل الشرقى والهند .

وفى العقد التاسع من القرن السادس عشر نشبت ثورة فى مقديشو وممباسا ولم تخمد الا بعد ارسال أسطول قوى . غير أن

هذا الحادث أقنع البرتغاليين بأنه من الصعب الابقاء على سيادتهم على الساحل الافريقى الشرقى بسبب بعد جزيرة موزمبيق من جهة وضعف ماليندى من جهة أخرى ولهذا أنشئوا حصن يســوع فى ممباسا عام ١٩٥٣ التى أصبحت الآن المركز الادارى فى الشمال .

غير أن قوة البرتغال أخذت تضعف بالتدريج اذ انهكتها هجمات الانجليز والهولنديين ، وفى نهاية القرن السادس عشر وبفضل معاونة أمراء عمان سقطت ممباسا فى أيدى العرب ، وخلال فترة قصيرة أصبح سلطان البرتغاليين مقصورا بالفعل على موزمبيق ، وبدا واضحا كأن رأس دلجادو أصبح يمثل الحد الفاصل بين النفوذ العربى فى شماله والنشاط البرتغالى فى المناطق التى الى الجنوب منه .

قلت ان البرتغاليين أرادوا أن يجعلوا من ميناء سفالة مركزا تجاريا فأقاموا فيها فندقا يتلقى مقادير الذهب التى ترد من أقليم مانيكا ، ولكن مالبثت آمالهم فى الحصــول على الذهب بوفرة أن طاشت نتيجة الحصار الذى فرضــه الزعيم الافريقى الاكبر فى الهضبة الداخلية وكان يدعى مونوموتابا Monomotapa وبحكم قبائل ماكالانجا Makalanga التى يقال انها وفدت من روديسيا الجنوبية ، وأقامت فى المنطقة التى بين نهرى ساث وزمبيزى وكانت سفالة أقرب ميناء الى هذه المنطقة .

أما موزمبيق فظلت المركز الرئيسي زمنا طويلا وينقــل اليها الذهب والعاج الواردان من سفالة وكان حاكمها تابعا لنائب الملك فى الهند وعليه أن يرفع تقارير دورية الى الاخير والى حكــومة

لشبونة ، ورغبة فى تنشيط الصادرات من الذهب أنشأ حاكم موزمبيق فى عام ١٥٣١ سوقا برتغالية فى سينا Sena ، وبعد سنوات قلائل أقيمت مدينة تيت Tete على النهر وتبعد عن الساحل ٢٦٠ ميلا ، وفى عام ١٥٤٤ أنشيء فندق فى كيليمين Quelimane القريبة من الساحل .

وفى عام ١٥٦٨ تولى عرش البرتغال الملك سباستيان وكان يهدف الى انشاء امبراطورية فى أفريقية الشرقية وذلك بالعمل على اخضاع المناطق الداخلية التى يسيطر عليها المونوموتابا والتى كان المعتقد أنها ملأى بمناجم الذهب ، وكانت الخطوة الاولى فى تنفيذ السياسة الجديدة أن بعث الى الزعيم الافريقى بانذار طالب فيه بالامور الآتية :

١ ــ منح حرية الانتقال والمرور والاقامة للتجار البرتغاليين ورجال الارساليات الدينية .

٢ ــ التعويض المناسب عن الخسائر السابقة التى لحقت مالية البرتغاليين بسبب الحركات المضادة .

٣ ــ طرد العرب المقيمين فى بلاده .

وقام فرنشيسكو باريتو بحملة فوصل الى سينا Sena وهناك ارتكب جرما بشعا لا يغتفر ، اذ أمر بقتل جميع أفراد الجالية الاسلامية ، ثم ارتكب خطأ آخر اذ اشتبك فى قتال أسفر عن تشتيت شمل أحد الزعماء المحليين وكان من أعداء المونوموتابا والبرتغاليين أيضا . ولكن الحملة أخفقت فى النهاية اذ مات معظم رجالها ومنهم باريتو نفسه بسبب الحمى والارهاق .

وفى أغسطس من عام ١٥٧٤ قامت حملة أخرى الى سفالة وصلت الى مانيكا ثم عسكرت عند ادمتالي (وهى الآن فى اتحاد وسط افريقية) ولكن مالبث البرتغاليون أن أدركوا استحالة الحصول على مقادير كافية من الذهب بدون المعدات أو الرجال وأخفقت حملات تالية أخرى ، وصار واضحا بحث المحاولات الرامية الى احتلال المناطق الداخلية فى افريقية الشرقية ، وخلال القرن السابع عشر تحطم الاحتكار التجارى البرتغالى فى أفريقية الشرقية والمحيط الهندى بسبب العرب والهولنديين والانجليز وفقدت البرتغال معظم المحطات التى سيطرت عليها ماعدا موزمبيق ،وأخفقت كل الجهود التى بذلها البرتغاليون فى سبيل اعادة السيطرة على تلك المناطق ، هذا الاخفاق الذى منيت به محاولة انشاء امبراطورية واسعة فى افريقية الشرقية تفسره عوامل كثيرة :

١ ـ الضعف العام الذى أصاب البرتغال نفسها وانهيار سلطانها واحتكارها التجارى فى الشرق والمحيط الهندى .

٢ ـ كانت أنجولا أكثر اجتذابا للنشاط البرتغالى بسبب تجارة الرقيق التى كانت آخذة فى النمو بصورة مطردة وبسرعة .

٣ ـ فتر نشاط البرتغاليين اذ لم يجدوا فى موزمبيق المقادير الضخمة من المعادن النفيسة التى كانوا يحلمون بها .

٤ ـ المقاومة العنيدة من جانب القبائل الافريقية فى الداخل واستمرار الاشتباكات والمنازعات بين الطرفين زمنا طويلا .

٥ ـ عدم تركيز السلطة فى أفريقية الشرقية فى ادارة واحدة قوية وسوء المواصلات وصعوبة الوصول الى المناطق الداخلية .

الشركات الكبرى فى موزمبيق :

ابتداء من عام ١٨٩٥ أخذت الحكومة البرتغالية تشجع تكوين الشركات الكبرى وتمنحها الارض وتكونت فى العقد الاخير من القرن التاسع عشر شركات موزمبيق ونياســـا وزمبيزى التى أصبحت فى عام ١٩٠٠ تشرف على أرض مساحتها أكثر من ثلثى المســتعمرة وكانت الشركة الاصلية تمنح شركات أقل منها الامتيازات من الباطن الا أن رأس المال الذى أنفق فى البداية كان صغيرا مما يشير الى طابع المضاربة ، كما أن الشركات كانت تأمل اكتشاف موارد كبيرة من المعادن والشركات الثلاث هى :

١ ـــ شركة موزمبيق :

وأساس نشأتها امتياز منح للكشف عن الثروة المعدنية على طول نهرى بوزى Puzi وبينجـــويه Pungué وفى ســـــنة ١٨٨٩ رفع رأس المال العامل الى ٤٠٠,٠٠٠ دولار ، وبعد عامين ضمت الشركة الاصلية شركة موزمبيق وصدر الامتياز الجديد فى السنة ذاتها (١٨٩١) ، وبيعت أسهم قيمتها خمسة ملايين دولار فى عدد من البلدان الاوربية ومن أهم شروط الامتياز :

(أ) استغلال ادارة مساحة تربو على ١٢,٠٠٠ ميل مربع .

(ب) مدة الامتياز خمسون سنة ويمكن الغاء الامتياز فى أى وقت اذا أخلت الشركة بالشروط .

(جـ) تعتبر الشركة برتغالية ومقرها الرئيسي لشبونة ، ويجب أن تكون أغلبية مديريها من البرتغاليين .

(د) تعطى الحكومة ١٠٪ من الاسهم كما تحصل على ٥ر٧ في المائة من صافى الارباح ومقابل ذلك تمتنع عن جباية الضرائب فى المنطقة لمدة ٢٥ سنة .

(هـ) تضمن حقوق الشركة احتكار التجارة والتعدين والصيد على الساحل وجمع الضرائب وانشاء الطرق والموانى وخطوط المواصلات بموافقة الحكومة والمصارف والبريد ونقل مساحات من الارض بحيث لاتتجاوز القطعة ١٢٥٠٠ فدان الى الشركات الاخرى والافراد .

(و) الاحتفاظ بقوة بوليس والمساعدة فى صيانة الامن الداخلى .

(ز) احترام حقوق الافريقيين وعاداتهم مادامت لاتتعارض مع سياسة التمدين .

(ح) استخدام موظفين برتغاليين كما يخضع جميع موظفيها فى موزمبيق للقانون البرتغالى .

وهكذا كانت الشركة حكومة داخل حكومة .

٢ ــ شركة نياسا :

منحت الامتياز سنة ١٨٩١ ولكنه لم يتخذ الشكل النهائى الا فى سنة ١٨٩٣ ، وكان المصدر الرئيسي لرأسمالها انجلترا ،وشملت منطقة الامتياز جميع الاراضي التى شمال نهر لوريو Lurio ولمدة ٣٥ سنة ولم تفعل الشركة أكثر من انشاء ميناء أميليا Porto Amelia كمركز للتجارة والادارة .

٣ ـ شركة زمبيزيا :

ومساحة الامتياز ٨٠٫٠٠٠ ميل مربع فى منطقتى كويلمين وتيت ، وكان أكبر المساهمين شركات وأفرادا فى « جنوب أفريقية» والمانيا وانجلترا وفرنسا والبرتغال ، وقامت الشركة بالتأجير الى شركات أخرى أهمها لو أبو Laubo وبوروف Borof المانية) وشركة مزارع سينا للسكر (بريطانية) وشركة مادال (فرنسية) وهذه الشركات الاربع هى التى أسهمت بشكل واضح فى زراعة السكر والسيسال فى زمبيزيا .

التوتر فى موزمبيق :

ان أنجولا هى التى تسلط عليها الاضواء اليوم أكثر من موزمبيق وأسباب ذلك واضحة تماما ، ذلك أن استقلال الكونغو الفرنسي والكونغو البلجيكى قد أمد الصراع من أجل الحرية بقوة دافعة ، ففى موزمبيق تدير البرتغال الاقليم ولكن روديسيا الجنوبية واتحاد جنوب افريقية هما اللذان يسيطران عليه .

وبالاضافة الى ذلك لم تحن بعد الساعة الحاسمة فى موزمبيق ، والآن فقط بعد أن استقلت تنجانيقا يواجه الحكم البرتغالى فى موزمبيق امتحانه الاخير .

ولموزمبيق حدود مفتوحة معتنجانيقا ،ولقد استبقى البرتغاليون عمدا الجزء الشمالى من موزمبيق بدون أية وسيلة من وسائل المواصلات الى تنجانيقا لتقليل انتقال الناس الى أقل حد ممكن ، ولكن الاحداث فى نياسلاند وتنجانيقا وروديسيا الشمالية لم تمر

بدون أن تترك أثرا فى موزمبيق فحسب ، بل سوف تتأثر موزمبيق الوسطى بأكملها .

وعلاوة على ذلك فان لدى البرتغال جيشا صغيرا فى موزمبيق اذ لايزيد عدد الجنود البيض عن عشرة آلاف جندى وهناك جيش أفريقى من خمسة آلاف جندى .

واذا كانت أنجولا قد سبقت غيرها من المستعمرات البرتغالية الافريقية الى الانقضاض على الاستعمار البرتغالى فان الحالة فى موزمبيق متوترة وتنذر بالخطر أيضا مما دعا الحكومة الى ارسال قوات جديدة لمواجهة احتمالات المستقبل ، كما منح المستوطنون تراخيص لشراء السلاح والاحتفاظ به ، كذلك صدرت تعليمات الى أصحاب الممتلكات لتدريبهم على مقاومة عمليات التخريب ، وأكثر من هذا أخذ عدد من البرتغاليين يرسلون زوجاتهم وأطفالهم الى البرتغال .

وأسباب القلق الذى يسود المستعمرة كثيرة فمن ناحية الافريقيين نضع فى المقدمة الفقر الذى يعانونه وسوء المعاملة ونظام السخرة ويكفى دلالة على ذلك أن البرتغاليين يقومون بتصدير العمال الافريقيين لحكومتى اتحاد جنوب أفريقية وروديسيا الشمالية وكانت الترنسفال تحصل على حاجتها من العمال لفترة كبيرة من موزمبيق فمنذ سنة ١٨٩٥ وشركة المناجم فى الترنسفال ترسل أشخاصا لجمع العمال فى موزمبيق للعمل فى المناجم ، وقد كانت موزمبيق هى العمود الفقرى لصناعة التعدين فى جنوب أفريقية وروديسيا .

ومن المهم ادراك أهمية هذه التجارة ، ففى مقابل تصدير العمال تضمن جنوب أفريقية ٤٧٫٥٪ من تجارة الترنسيت المخصصة لمنطقة معينة وتعرف هذه المنطقة « بالمنطقة المتنافسة » ، لان جميع موانى الاتحاد وميناء لورنسو ماركيز فى موقف تنافس على هذه التجارة ، ومقابل هذا يحصل اتحاد جنوب أفريقية على ٨٠ الف عامل افريقى من جنوب خط عرض ٢٢ جنوبا للعمل فى مناجم الذهب ، ويتم جمع العمال بوساطة هيئة واحدة هى جمعية العمال الوطنيين التى تقوم بالنقل علاوة على جمع العمال كما تتعهد العامل حتى يصل الى مكان عمله ومدة التعاقد العادية اثنا عشر شهرا ولكنها تمتد عادة ستة أشهر أخرى .

أما فى صفوف الاوربيين فان المشتغلين بالتجارة ساخطون على نظام الحصص والاحتكارات وقد طالبوا بعدد من الاصلاحات دون جدوى ولقد رفع سبعون من أعضاء الاتحاد الديمقراطى عريضة الى سالازار فى ابريل سنة ١٩٦١ جاء فيها : « اننا نحن الديمقراطيين نصر على أن نواجه مشكلات موزمبيق مواجهة حقيقية فمن بين ستة ملايين النسمة الذين يعيشون بها نجد أقل من ١٠٠ ألف ليسوا أفريقيين ، . ونحن ندرك مدى تفكير القوى العظمى المسئولة عن مصاير العالم فى مستقبل افريقية . ولسنا على استعداد لتسليم مصايرنا ومصاير أولادنا لحكومة البرتغال بلا أى ضمانات » .

واذا نظرنا الى الشمال تجاه تنجانيقا حيث اخذ الانتقال نحو التحرر الافريقى مكانه دون أى نزاع خطير نرى البيض فى موزمبيق قد ضايقهم المد الثورى للقومية السوداء كما ضايقهم أيضا دسائس البيض السياسية فى جنوب افريقية وروديسيا .

ويمكننا أن نقول عن المطالب التى حددتها الوثيقة أنهـــا حل ايجابى حقيقى للموقف اذ طالبت بما يلى :

١ ــ الغاء القوانين الخاصة بالافريقيين فورا ومنح جميع الافريقيين حقوق المواطنة .

٢ ــ تكوين مؤتمر يتألف من ممثلين عن كل قطاعات الشعب بغض النظر عن العنصر أو اللون أو الدين .

٣ ــ جلسة المؤتمر يحضرها الصحفيون والمراقبون البرتغاليون والاجانب من الاوروبيين والولايات المتحدة والدول الافريقية الآسيوية .

٤ ــ وضع قوة من الجيش البرتغالى على الحدود لضمان منع التدخل الاجنبى .

وعلى الرغم من انتشار الامية بشكل فاضح بين الافريقيين فى موزمبيق فان منهم نفرا تلقوا تعليمهم فى أوروبا وأمريكـــا واتصلوا بحركات التحرير فى تنجانيقا وهؤلاء يرون أن خير الطرق هى الوصول الى حكم بلادهم بالطرق السلمية مثلما يفعل جوليوس نيريرى فى تنجانيقا .

ومن أعظم المعارضين هناك « دوم سيباستيايو سوابيس » . Dom Sebastiaio Saabes أسقف بيرا البـــالغ من العمر الثمانية والاربعين عاما ، ولقد وضع كتابا وصف فيه سوء أحوال الأفريقيين فى مزارع القطن والأرز ، والرجل يحذر من استمرار السياسة التى تنتهجها الحكومة وكتب يقول : « اذا استمرت الأمور تسير على هذا

النحو فلن يكون من الضرورى أن يعبر الارهابيون الحدود لتخريب اقتصادنا واضاعة موزمبيق » .

اذن هناك معارضة من جانب فريق المستوطنين البيض ولكن يجب أن نفهم هذه المعارضة على حقيقتها . انها تهدف أولا الى الاحتفاظ بالمصالح الاوربية عن طريق احداث تغيير فى أسلوب الحكم لا أكثر ولا أقل ، كما فعل جلفاو فى تقريره ، فلم يكن يهدف الى تحرير شعب أنجولا وانما كان هدفه الاطاحة بالدكتاتور سالازار والحصول على سلطات وافرة للمستوطنين .

ان قيام أى تمرد مسلح فى موزمبيق لابد أن يضطر البرتغال الى طلب النجدة من جنوب افريقية وروديسيا ، وقد أقامت البرتغال فى الوقت الحاضر نوعا من التنظيمات العسكرية مع الاتحاد حول دفاعها . ومن ثم فلن يسمح الاتحاد أو روديسيا الجنوبية بالقيام بأية محاولة للاطاحة بالحكم البرتغالى فى موزمبيق ، وسوف يقاومان بكل الوسائل التى يملكانها أية محاولة لذلك .

واذا كانت أنجولا تحترق وسط النيران فان موزمبيق عبارة عن برميل بارود بجواره عود ثقاب مشتعل وادركت لشبونة هذا وأخذت تستعد بمختلف الوسائل للاطاحة بأية حركة وطنية تظهر فى موزمبيق .

غير أن المسألة التى هى أكثر أهمية انما هى موقف الافريقيين أنفسهم ، وهؤلاء لا يشتركون فى هذا النشاط الذى يزاوله البيض ، ذلك أن اهدافهم أبعد مدى ، ولكنها تدور حول الاستقلال ، ومع ذلك فلن يكون عنصر المستوطنين هو الذى سيقوم بالقضاء على

الحكم البرتغالى ، فهم يريدون تفويضا بالسلطة من لشبونة الى لورنسو ماركيز ، فطلبهم هو قيام حكومة ذاتية مكونة من أشخاص ذوى خبرة محلية . ومهما يكن فالتحدى الحقيقى لايأتى من الافريقيين فى موزمبيق وحدهم فحسب ولكن من أهالى موزمبيق الذين رحلوا الى تنجانيقا وروديسيا الشمالية كذلك .

ولقد تكونت عدة منظمات سياسية ولكنها تعمل فى الخفاء بسببتحريم النشاطالسياسي ، وهى : الحزب الكاثوليكى الاشتراكى فى « انهامبين » والاتحاد التقدمى فى مانيكا وسفالة والحركة الافريقية الديمقراطية فى اقليم زمبيزيا ، ولكن أهم من ذلك جماعات اللاجئين فىالبلاد الافريقية المجاورة والتى تلقىالتأييد منالموزمبيقيين البالغ عددهم حوالى نصف مليون يعملون فى اتحاد أفريقية الوسطى وتنجانيقا وكينيا ، ومن هذه المنظمات التى تعمل فى الخارج الاتحاد الديمقراطى الوطنى بموزمبيق ومقره مدينة دار السلام ، وتصلح دار السلام فى كثير من النواحى للقيام بهذا الدور بصورة تدعو للاعجاب ، اذ أنها الجار الوحيد لموزمبيق الذى يحكم حكما أفريقيا وهناك الآن عدد ضخم من اللاجئين من موزمبيق ، وهناك أيضا الاتحاد الوطنى الافريقى ويساعده توم مبويا الزعيم الكينى .

ان الحركة القومية يشتد ساعدها واذا أمكن تحقيق تعاون بين الوطنيين فى موزمبيق وأنجولا وقد نشبت الثورة فى الاولى فعلا فقد يطرأ تحول بالغ الخطر بالنسبة الى البرتغال .

ومن جهة أخرى لاشك أن استقلال تنجانيقا قوة مشجعة ودافعة ، ويستطيع أهل موزمبيق أن يتخذوها قاعدة ينقلون منها

الرجال والعتاد . ويلاحظ أن حدود موزمبيق مع جيرانها الأفريقيين في الشمال طويلة ومن العسير على البرتغال أن تحول دون عبور الرجال والمعدات والسلاح للقيام بثورة تعصف باستعمارها وسلطانها .

والخلاصة أن المستعمرات البرتغالية قد دخلت في مرحلة الكفاح الجدى من أجل حريتها ونتيجة هذا الكفاح ليست موضع الشك .. انها مسألة وقت فقط .

مؤتمر
اديس ابابا
ومستقبل
المستعمرات
البرتغالية

ان مجرد انعقاد هــذا المؤتمر دليل على وجود ارادة أفريقية حرة وواحدة .. فنحن لم نصل الى هنــا مصادفة .. ولا وصلنــا بسرعة .. وانما جئنا من طرق عدة واستغرق مجيئنا محاولات تمكنت أخيرا من تحقيق نفسها .. لانها تصدر عن نداء للوحدة غلاب لانستطيع مقاومته ولا استطاع غيرنا أن يصدنا عنه ..

جمال عبد الناصر

مؤتمر أديس أبابا
ومستقبل المستعمرات البرتغالية

اى طريق اختارت افريقية ؟ سؤال ظل يطرح لعدة سنوات ويثير الجدل والنقـــاش وخاصة بعد أن تحررت عشرات الدول الافريقية من ربقة الاستعمار وحصلت على استقلالها الوطنى ، لقد تساءل الاستعماريون الذين اضطروا للانسحاب من افريقية .. أى سبيل تسلك الثورة الافريقية لمواجهة مسئولياتها الجديدة بعـــد الحصول على الاستقلال .

لقد استطاعت القيادات الافريقية الثورية التى انبثقت من صميم الشعب وانصهرت فى آلامه وآماله استطاعت أن تقـــود شعبها الى التحرر الوطنى ، وفور تحقيق الاســـتقلال اخذت هذه التيارات والقوى الوطنية والثورية فى افريقية تواجـــه أضـــخم المسئوليات وأخطر المهام .

.. وكما أعلن الرئيس جمال عبد الناصر فى مؤتمر القمة الافريقى الذى عقد فى مايو سنة ١٩٦٣ .. أن القارة الافريقية تواجه اليوم أخطر مراحل نضـــالها .. انها تواجه الاســـتعمار والاضطهاد العنصرى والاحلاف العســـكرية والذين ينهبون ثرواتها كما تواجه مشاكل التخلف والتفاوت الاجتماعى والحدود وتيارات الحرب الباردة .

أى طريق تختار افريقية لمواجهة هذه التحديات الهائلة وفى ظل الظروف الموضوعية التى خلقها الاستعمار ولم يمض على استقلالها الوليد غير بضع سنوات ؟

ان الحصول على الاستقلال بداية الطريق الطويل .. الى غد أفضل .. ولكن معركة الاستقلال على التحقيق لن تكون المعركة الاخيرة .. كذلك لن تكون أصعب المعارك وأقساها . ان اصعب المعارك هى بناء الشخصية الافريقية وتأهيلها لمواجهة مسئولياتها الهائلة .. تحرير القارة نهائيا من الاستعمار والسيطرة والاستغلال الاجنبى والتبعية بجميع صورها .. بناء الاقتصاد الوطنى الذى خربه الاستعمار .. بناء الصناعة الافريقية واستغلال الثروات الافريقية الهائلة .. تحقيق السلام الافريقى لبناء مجتمع افريقى جديد فى ظله .. مجتمع تسوده العدالة والمساواة والكرامة الانسانية .. مجتمع متحرر من أى لون من ألوان السيطرة والاستغلال والاضطهاد العنصرى .

حول هذه المشاكل الضخمة وغيرها كان يدور الجدل وتختلف الآراء .... ولكن السؤال الكبير كان يقفز دائما الى مكان الصدارة .. أى طريق تختار افريقية وأى سبيل تسلك شعوبها الى غدها ؟؟

كان أمام شعوب افريقية كما يقول نكروما ثلاثة دروب :

١ — أن تتحد وتتقدم وتنقذ القارة .

٢ — أن تبقى مجزأة فتتقهقر وتزول .

٣ — أن تبيع نفسها للقوى الخارجية .

لهذا كان الزعماء الافريقيون الذين قاموا بتحرير بلادهم وكان لهم الفضل فى الخلاص من المستعمر فى أشد الحاجة الى التجمع والتماسك لمواجهة ألاعيب الاستعمار المستمرة لاستعادة السيطرة على تلك القارة ولو بطرق مغايرة .

وبعد جهود شاقة من جانب هؤلاء الزعماء فى دعم العلاقات بين الدول الافريقية بعيدا عن التكتلات الشرقية والغربية .. بعد كل هذا وبعد هـــذه الجهود أمكن عقد مؤتمر كبير فى أديس أبابا للدول الافريقية المســـــتقلة اشتركت فيه ثلاثون دولة ومراقبون مجاهدون من دول أخرى ما زالت تكافح للحصول على استقلالها .

لقد اختارت أفريقية طريقا أفريقيا خالصـــــا .. هو طريق التجمع والوحدة والتضامن وقد يكون هـــذا الطريق الاخير أصعب الطرق .. ولكنه على التحقيق الوحيـــــد لتحقيق آمال الشعوب الافريقية..من أجل ذلك دفعت الشعوب الافريقية قياداتها الى هذا الطريق الوعر مدركة كل الادراك لدروها وللعقبات التى تقف فى طريقها والمعارك التى سيتعين عليها خوضها .

من اجل هذا تجمعت شعوب افريقية . ان الرغبة فى التحرر والمساواة والتضامن والشعور بالتخلف الاقتصـــادى والاجتماعى والثقافى وارادة التقـــدم وذكريات السيطرة الاجنبية والاستغلال البشع والتمييز العنصرى الوحشي التى مازالت تسيطر على أجزاء كبيرة من القارة ، هى الدعامات الصلبة للوحدة الافريقية .

ولقد بدأ أول اجتماع لمؤتمر القمة الافريقى فى ٢٢ من مايو

سنة ١٩٦٣ بأديس أبابا لبحث مشكلات القارة وفى مقدمتها الوحدة الافريقية .

والقى الامبراطور هيلاسيلاسي كلمـــة الافتتاح بوصفه ممثلا للدولة المضيفة للاقطاب فقال : ((**انكم لن تغادروا أديس أبابا دون أن تخلقوا منظمة واحدة للدول الافريقية .. فاننا اذا نجحنا فى ذلك نكون عندئذ وعندئذ فقط قد بررنا وجودنا هنا ، ثم ، قال : ان وحدة أفريقية يجب أن تتم تدريجيا وأن ماتريده هو منظمة افريقية واحدة يمكن عن طريقها سماع صوت واحد .. ان حريتنـــا السياسية والاقتصـــادية تكون عديمة المعنى ما دام المنظـر المزرى للتفرقة العنصرية في جنوبى افريقية يلازمنــا فى ساعات صحونا ويقض مضاجعنا فى أثناء نومنا**)) .

وقد القى الزعماء الافريقيون خطبا متعاقبة فىجلسات المؤتمر المتعددة **كان أبرزها الخطاب الذى القاه الرئيس جمال عبد الناصر فى الجلسة الرابعة وكان خطابه شاملا لكل المشـــاكل الافريقية وأبرز حقوق الشعوب الافريقية بشكل انسانى متزن وحدد مشكلات القارة المختلفة ثم رسم لها الحلول الصحيحة السليمة ومنها مشكلة الاستعمار وكيفية حصول الشعوب الافريقية على استقلالها وذلك عن طريق المقاومة الباسلة بكل الوسائل والطرق حتى الوصول الى سلاح المقاطعة الكاملة .**

ومن بين ما أوضحه الرئيس عبد الناصر فى خطابه المخاطر التى تهدد القارة منجانب الاستعمار كالتفرقة العنصرية والاضطهاد العنصرى والاحلاف العسكرية ونهب المواد الخام ومشكلة التخلف

التى تعانى منها الشعوب الافريقية والتى فرضتها هـــذه الاوضاع الاستعمارية والاستغلالية على مدى التاريخ الافريقى ، ثم أشار الى عمليات اغتصاب أراضي الشعوب الافريقية واباحتهـــا لمستوطنين جاءوا من بعيد ورفضوا أن يكون لهم حق الضيف وراحوا استعلاء وارهابا يفرضون جبروت السيد وهذا بالطبع نتيجة طبيعية وحتمية للاستعمار الذى جاء طامعا ومتسلطا بعقلية المغامر قاطع الطريق .

أما الزعيم سيكوتورى رئيس جمهورية غينيا الذى تأكد مجده فىبلاده منذ عام ١٩٥٨ والذى يتمتع بشعبية كبيرة اكتسبها من عمله داخل حزب التجمع الديمقراطى الافريقى وأمكنه تحرير بلاده من نير الاستعمار الفرنسى .. تكلم هذا الزعيم الثائر بحماسة فائقة عن مبادىء وأسس بعضها صالح للتنفيذ فورا وبعضها يحتـــــاج الى سنوات من العمل المستمر وقد طالب سيكوتورى بانشاء ســـوق افريقية مشتركة وتنسيق الانتاج وانشاء سكرتارية لمحاولات الوحدة الافريقية .

وفى النهاية طالب رئيس غينيا بوقوف الدول الافريقية موقف الدفاع والهجوم أيضـــــا لحصول الدول الافريقية المحتلة على استقلالها .

أما الزعيم الثائر أحمد بن بيللا فقد أوضح فىخطابه السياسة التى قررت الجزائر انتهاجها تجاه أفريقية والتى تتلخص فى ضمان مساندة فعالة للوطنيين فى البلاد التى لا تزال مستعمرة كما أعلن استعداده لتجنيد عشرة آلاف جزائرى لخوض معركة التحرير مع شعب أنجولا ضد البرتغال .

أما رئيس جمهورية السنغال ليوبولد سنجور فقد تحدث حديثا معقولا عن الوحدة الافريقية وكان ثوريا عندما تحدث عن ضرورة قطع العلاقات الاقتصادية فورا مع الدول التى ما زالت تتعامل مع جنوبى أفريقية وتحدث عن وحدة اقتصـــادية وسياسية وتخطيط شامل لسياسة مشتركة .

وأنهى مؤتمر القمة الافريقى جلساته باصدار ميثاق أجمع عليه جميع رؤساء حكومات الدول الافريقية ، ذلك الميثاق الذى خرج على العالم يحمل بين ثناياه قرارات هى فى الواقع بمثابة ثورة فكرية أو تحول فكرى خطــير بالنسبة لتلك السياسات والآراء التى ظلت سائدة طوال قرون عدة تحكم علاقات الدول وعلاقات المجتمعات المختلفة فى جميع أنحاء العالم ، وقد صدر عن المؤتمر أيضـــا عدة قرارات وتوصيات كان أهمها ما يلى : ـــ

١ ـــ تشكيل لجنة مكونة من تسع دول هى ج.ع.م ، الجـــزائر ، أثيوبيا ، غينيا ، السنغال ، تنجانيقا ، الكونغو ، نيجيريا .. يكون مقرها دار السلام وتكون مهمتها الآتى : ـــ

(أ) بحث مسألة الاستعدادات الخاصةبمناهضة الاستعمار .

(ب) الحق فى المطالبة من أية دولة بمرور المتطوعين والمقاتلين الافريقيين فى أراضيها وتسهيل دخولهم فى الاراضى المستعمرة التى لم تتحرر بعد .

(جـ) فتح اعتماد خاص أو صندوق خاص لمساعدة المناضلين من أجل الحرية فى افريقية واعلان يوم ٢٥ من مايو يوم تحــرير افريقية تجمع فيه التبرعات والمساهمات الوطنية .

٢ ــ انشاء وحدات للمتطوعين فى كل دولة من الدول واستقبال الوطنيين من المناطق التى لم تتحــــــرر لتدريبهم فى جميع الميادين .

٣ ــ طالب الرؤساء بقطع العلاقات الدبلوماسية والقنصلية بين جميع الدول الافريقية وحكومتى البرتغال وجنــوبى افريقية مادامتا مستمرتين فىاتجاههما الاستعمارى والعنصرى الحالى ومقاطعتهما تجاريا ومنع استيراد البضائع منهمــــا واغلاق المطارات والموانى فى وجه طائراتهما وسفنهماومنع طائراتهما من الطيران فوق الاراضي الافريقية .

٤ ــ تقديم المساعدات من كل نوع الى حركات مناهضة (التفرقة العنصرية) فى جنوبى افريقية وتقديم المنح الدراسية وفرص العمل الى اللاجئين منها .

٥ ــ طالب الرؤساء بتمثيل افريقية تمثيــلا أكثر عدلا فى الاجهزة الاساسية للامم المتحدة المتخصصة للمنظمة الدولية .

٦ ــ قرر الرؤساء اعتبار افريقية منطقة خالية من الاسلحة النووية وتحريم التجارب الذرية وتشجيع استخدام الطاقة الذرية فى سبيل السلام وتحطيم الاسلحة الذرية الموجودة حاليا وازالة القواعد العســــكرية من افريقية وعدم ربطها بأية أحلاف عسكرية مع دول أجنبية .

٧ ــ قرر المؤتمر انشاء لجنة اقتصادية تمهيدية تقــوم عن طريق استشارة الحكومات الافريقية من ناحية واللجنة الاقتصـــادية لافريقية من ناحية أخرى بدراسة امكان انشاء منطقة التجارة

الحرة بين الدول المختلفة فى افريقية وانشاء ضريبة جمركية خارجية عامة لحماية الصناعات الناشئة وصندوق لاستقرار أسعار المواد الاولية واعادة ترتيب البناء الذى تقوم عليه التجارة العالمية ودراسة وسائل تنمية التجارة بين الدول الافريقية . وتبادل تسهيل المواصلات والترانزيت وانشاء شركات للنقل البحرى والبرى والجوى .

الميثاق الافريقى :

نحن رؤساء الدول والحكومات الافريقية المجتمعين فى مدينة أديس أبابا بأثيوبيا نعرب عن اقتناعنا بحق جميع الشعوب الثابت فى أن تقرر مصيرها بنفسها ، وندرك هذه الحقيقة وهى أن الحرية والمساواة والعدالة والكرامة أهداف جوهرية لتحقيق الامانى المشروعة للشعوب الافريقية .

وندرك المسئولية الواقعة على عاتقنا من أجل استغلال الموارد الطبيعية والبشرية لقارتنا فى سبيل تقدم شعوبنا فى مجالات العمل الانسانى .

ويلهمنا التصميم المشترك على تشجيع التفاهم بين شعوبنا والتعاون بين دولنا استجابة لامانى شعوبنا من أجل تقوية أواصر أخوتنا وايجاد التضامن فى وحدة أكبر تسمو على جميع الخلافات العنصرية والقومية .

ونحن مقتنعون بأنه لترجمة هذا التصميم الى قوة ديناميكية من أجل قضية التقدم الانسانى يجب ايجاد الظروف الملائمة للابقاء على الأمن والسلام .

ونحن يحدونا التصميم على ضمان وتدعيم استقلال دولنـــــا الذى حصلنا عليه بمشقة وصعوبة وكذلك على سيادتها وسلامة اراضيها وعلى محاربة الاستعمار الجديد بجميـــع صوره . ونحن نكرس أنفسنا لتحقيق التقدم العام فى أفريقية .

ونحن مقتنعون بأن ميثاق الامم المتحدة واعلان حقوق الانسان ــ وهما اللذان نؤكد تمسكنا بمبادئهما ــ يوفران أساسا متينـــــا للتعاون الايجابى والسلمى بين الدول .

واننا نرغب فى توحيد جميع دول افريقية ومالاجاس من أجل ضمان رفاهية ومستقبل شـــــعوبنا ونعرب عن عزمنا على تعزيز الروابط بين دولنا بانشاء وتقوية منظماتنا المشتركة .

وبناء على ذلك نعلن اتفاقنا على انشـــــــاء منظمة الوحدة الافريقية .

لاشك أن هذا المؤتمر يعتبر الضـــوء الذى انبعث من القارة الافريقية أو من القارة السوداء كما يطلق عليها الغرب لينير الطريق امام رجالات السياسة فى العـــالم ، أو هو بمثابة الصيحة المدوية التى أطلقتها القارة لتوقظ الضمير السياسي فى العالم ليعمل على تغيير هذه النظريات السياسية التى ابتدعها تجار السياســـة فى القرون الماضية لمصلحتهم فتحكمت فى ضمائرهم واستعبدت أفكارهم فخرجت آراؤهم لتعبر عما يجيش فى نفوسهم من الانانية والظلم واستعباد طاقات البشر .

وبرغم مامر من أحداث وما رأوه من تجـــــارب لم يرد تجار

السياسة الاستعماريون أن يغيروا أفكارهم حتى جاء هذا العصر وقد أصبحوا فىحيرة من عقولهم فهم لا يستطيعون السير بالسياسة التى جلبت لهم النجاح فى الماضي ، كما أنهم فى الوقت نفسه وبدافع من أنانيتهم لا يقدرون على التخلى عنها بسهولة حيث كانت سر مجدهم وعظمتهم ورخاء بلادهم .

والحقيقة أن هذا التجمع الافريقى انما هو نتيجة منطقية وحتمية لما مرت به الثورة الافريقية من مراحل وما خاضت من معارك فى السنوات الاخيرة .

ان التجمع الافريقى ضد الاستعمار والتبعية والاستغلال الاجنبى والحرب الذىأعلن مولده فى أديس أبابا واندفاع الشعوب الافريقية الى الوحدة فور حصولها على الاستقلال هو التعبير الحقيقى والعملى عن المصالح الحقيقية للشعوب الافريقية .

لم يكن معقولا ولا مقبولا أن تعيش افريقية عصر الوحدة وأن ترى الاستعمار يتحد عسكريا فى حلف الاطلنطى واقتصاديا فى السوق المشتركة وسياسيا فى مشروعات ديجول وأديناور للوحدة الاوربية .. وتبقى افريقية مقسمة ممزقة .. ان العقلية الافريقية الاساسية الآن هى ضرورة تخطى الحدود التى فرضتها أوروبا ، وبناء وحدة نابعة من الواقع الافريقى من أجل قضية الاستعمار والتقدم الاقتصادى على أساس التكامل بين المشروعات والتعاون فى التخطيط وحل المشاكل العنصرية والثقافية ، وصيانة السلام فى افريقية بعيدا عن ميدان الحرب الباردة وتوحيد السياسة الخارجية والتضامن على أساس الغد للغد والتعايش السلمى .

وهذه بعض نتائج مؤتمر القمة فى أديس أبابا بداية طريق طويل ولكنها فى الوقت نفسه ثمرة كفاح مرير بدأ منذ سنوات فى باندونج حين تم أول لقاء بين القيادات الثورية الافريقية والعربية الافريقية ثم توالت الاتصالات والمؤتمرات : مؤتمر الشعوب الافريقية أو الافريقية الآسيوية والشباب والمرأة واتحاد العمال والصحفيين ... الخ ..

بيد أن انتصار الثورة الجزائرية البطولى وقيام الكفاح المسلح فى أنجولا وقيام السخط فى موزمبيق كل ذلك وغيره دفع حركة التجمع الافريقى خطوات هائلة الى الامام فقد كشف للافريقيين عن وحدة الاخطار والمشاكل والاهداف التى لابد أن تواجه بوحدة نضالية وتضامن فى وجه الخطر وتعاون فى التخلص من وصمة التخلف والعبودية والاستقلال .

لقد وضعت قرارات مؤتمر أديس أبابا موضع التنفيذ وترجمت الرغبات المكتوبةالى أعمال حقيقية فقد بادرت معظم الدول الافريقية الى قطع علاقاتها مع حكومة البرتغال الديكتاتورية ، ووقف الرئيس أحمد بن بيللا يكرر ماقاله فى مؤتمر أديس أبابا وأكد استعداد بلاده لارسال عشرة آلاف مقاتل من المدربين على حرب العصابات الى أنجولا لمشاركة أبناء الشعب الانجولى فى الكفاح ضد المستعمرين البرتغاليين .. وتعاونت الدول الافريقية على طرد البرتغال من عضوية اللجان الاساسية للامم المتحدة فكانت تقاطع تلك اللجان طالما أنها تضم مندوب البرتغال وقد نجحت الوفود الافريقية فى اقصاء البرتغال عن عدد كبير من تلك المؤتمرات .

وفى ٢٩ من يونيو سنة ١٩٦٣ قررت حكومة الجمهورية العربية المتحدة قطع العلاقات الدبلوماسية والقنصلية مع حكومة البرتغال وأذاعت وزارة الخارجية أن هذا القرار اتخذ تنفيذا لقرارات مؤتمر القمة الافريقى فى اجتماعه بأديس أبابا وتنفيذا لقرارات الامم المتحدة ومؤتمر بلجراد ومؤتمر اكرا ومؤتمر أديس أبابا لموقف البرتغال من انجولا وموزمبيق .

مجلس الامن يدعو البرتغال لمنح مستعمراتها الاستقلال :

وفى ٣٠ من يوليو سنة ١٩٦٣ دعا مجلس الامن البرتغال الى انهاء وسائل القمع فى مستعمراتها وتهيئة السبيل أمام هذه الاراضي الافريقية للحصول على استقلالها ..

وقد طلب مجلس الامن من جميع الدول الاعضاء فى الامم المتحدة ان تمنع امداد البرتغال بالاسلحة التى قد تستخدمها لقمع الحركات الوطنية فى المستعمرات التابعة لها فى القارة الافريقية .

وقد امتنعت كل من بريطانيا والولايات المتحدة عن التصويت على مشروع القرار المقدم فى هذا الشأن فى حين أيدته الدول الثمانى الأخرى وقد أدخلت على مشروع القرار الافريقى الآسيوى تعديلات خففت من حدته وان كانت الولايات المتحدة تعارض فى بعض الفقرات التى تضمنها مشروع القرار مثل : (استمرار البرتغال فى انتهاج سياسة القمع) .

وكان متحدث أفريقى قد أعلن خلال المناقشات التى دارت فى المجلس أن الاسلحة التى تقدمها الولايات المتحدة والدول الأخرى

أعضاء حلف شمال الاطلنطى تستخدم ضد الجماعات المعارضة فى المستعمرات البرتغالية .

هذا وصرح اليكس كوازدن ساسكى ممثـــــل غانا وهو احد الذين تبنوا مشروع القرار بأن القرار ضعيف فى لهجته ولكنه يحوى الشروط الاساسية التى سعت الدول الافريقية لتضمينها .

وصرح ادلاى استيفنسون مندوب الولايات المتحدة بأنه امتنع عن التصويت على مشروع القرار لان القرار لم يصغ بالطريقة التى تحقق النتائج المرجوة منه .

وأعرب عن اسفه لان القرار تضمن فقرات لايمـــكن للولايات المتحدة أن توافق عليها وأضاف أن الويات المتحـــــدة وافقت على المبدأ الاساسي وهو منح هذه المستعمرات حق تقرير المصير .

وأشار استيفنسون الى البند الوارد بمشروع القرار بشأن عدم امداد البرتغال بالاسلحة فقال : ان الولايات المتحدة اشترطت فى الماضي عدم استخدام الاســــلحة الامريكية فى المســـتعمرات البرتغالية وانها ستواصل اتباع ذلك .. ثم قال ان النقطةالاساسية فى القرار هو الاعتراف بحق تقرير المصير وتطبيقه فى المستعمرات البرتغالية واضاف اننا نعتقد تماما أن الاهداف التى نسعى جميعا اليها يمكن تحقيقها .. ولكن فقط بطريقة منظمة ودون عنف ..

أما المندوب السوفييتى فاسيلى سولود فينكوف فقد صرح بأن التعديلات التى ادخلت على المشروع والضـــــغط من جانب حلفاء البرتغال قد اضعفت مشروع القرار ولاشك .. وقال ان المناقشات

التى جـــرت فى المجلس قد زادت من الوحدة ضـــــد القوى الاستعمارية .

وقد طلب مجلس الامن من جميع الدول بوجوب الامتناع عن تقديم أية مساعدات قد تساعد البرتغال على الاستمرار فى سياسة قمع شعوب مستعمراتها فى أفريقية واتخاذ جميع الاجراءات الكفيلة بمنع بيع أو امداد البرتغال بالمعدات العسكرية التى تستخدم لهذا الغرض .

وتضمن القرار فقرة تطلب من السكرتير العام للامم المتحدة أن يضمن تنفيذ بنود المشروع وتقديم المســاعدات التى قد يراها ضرورية فى هذا الصدد على ان يرفع تقريرا الى المجلس بذلك .

وبعد فان الطريق الى الوحـــدة الافريقية اصبح أمرا محتوما وهذه الوحدة لن تكون حقيقية الا اذا أجلى الاستعمار اجلاء نهائيا عن أفريقية وهو فى بعضها لا يزال يسلك طريق التحدى والارهاب وخاصة فى المستعمرات البرتغالية .

وقد وجد الزعماء الاحرار فى افريقية انه لامفر من مقـــابلة التهديد بالتهديد والصراع بالصراع والقوة بالقوة حتى ينزاح كابوس الاستعمار وتتنفس افريقية نسيم الحرية وحينئذ يمكنها أن تتحـــد الاتحاد الكامل وان تعالج مشكلاتها وان تسهم فى البناء الحضارى للانسانية .

فهرس

الموضوع	الصفحة
تقـــديم	٣
مقدمـــة	٧
أفريقية الجوهرة الســوداء	٩
البرتغال دولة من الدرجة الثالثة	٢٣
سالازار الديكتــاتور	٣٥
تقرير جلفاو وثورة سانتا ماريا	٤٥
العقلية الاستعمارية البرتغـــالية	٦١
الرق والتفرقة العنصـية	٨٥
درس من جوا الهندية	١١١
أنجولا الثــائرة	١٢٥
مشكلة أنجـــولا دوليا	١٥٥
السخط فى موزمبيـــق	١٦٥
مؤتمر أديس أبابا ومستقبل المستعمرات البرتغالية	١٨٧

هيئة قناة السويس

مناقصة عامة

بين مقاولى القطاع العام

تطرح هيئة قناة السويس فى مناقصة عامة عملية انشاء المركز الثقافى والاجتماعى والمتحف والمكتبة بالاسماعيلية ويمكن الحصول على مستندات العملية بالحضور شخصيا الى مقر الهيئة بالاسماعيلية — الادارة الهندسية (المشروعات) وذلك نظير دفع مبلغ ثلاثين جنيها .

وتقدم العطاءات باسم السيد / رئيس هيئة قناة السويس (الادارة الهندسية) فى ميعاد أقصاه الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الاثنين ٢٥ من نوفمبر سنة ١٩٦٣ مصحوبة بتأمين ابتدائى قدره خمسة آلاف جنيه ولن يلتفت الى أى عطاء يقدم بعد هذا الموعد أو غير مصحوب بالتأمين الابتدائى المذكور .

الدار القومية للطباعة والنشر
(فرع الساحل)

١٧٢

الدار القومية للطباعة والنشر

٣٣٠ الثمن ١٢ قرش

Bibliotheca Alexandrina
مكتبة الإسكندرية
0227230